



CHECKED - 1963
مقدمة

اقوم المسالك

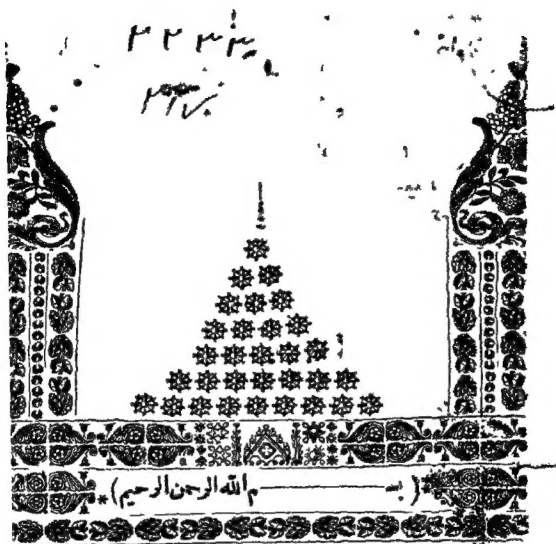
في

معرفة احوال الممالك

تأليف الشهم المحام الافخم حضرة دولوغير الدين
باشا الوزير الاكبر الشهير الغنى عن التشهير
فيمما انتشر من شعاع شمس ما تجره ليقس
فقط حين توايه المناصب العاليه كراسة
الوزاره في تونس والصدارة العظمى
لارولة العاليه بل ذلك ديدنه
على الدوام دام في حراسة
رب الانام

« (طبع بطبعة جريدة الاسكندرية على نفقة محررها
الهقير الخديو به سايم جوى في سنة) »

سنة ١٢٩٩ هجرية



سبحان من يجعل من نتائج العدل العمران * وفطس بالعقل نور
 الانسان * واهله به تحسن التدبير ومراتب العرفان * وام
 بالتعاون على البر والتقوى دون الاثم والعدوان * أحده وه
 الممودة في كل آن بكل لسان * وأصلى على عبده سيدنا محمد المر
 بالكاتب والميزان * المنزل عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان
 وعلى آله واصحابه حفاظ شريعته الالفة بكل زمان * الله
 احكامها على مركزي الايمان والامان * اما بعد فيقول جامع ه
 الورقات

(٢)

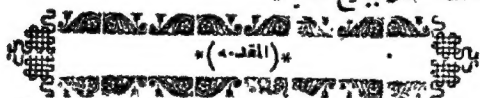
الوقوات * ارشده الله الى اقوم الطرقات * التي هتكت ان نامت تامل
 ملويلا * في اسباب تقدم الامم وتأنرها جيلا جيلا * محتشدا في ذلك
 لاسمك تصفحه من التواريخ الاسلامية والاخرنجيه * معجا حرة
 المولفون من الفريقين فيما كانت عليه وآلت اليه الامه الاسلاميه
 وما سيؤول اليه امرها في المستقبل * بمقتضى الشواهد التي قضت
 التجريبيه بان تقبل * التجأت الى المحزم بما لا اذن عاقلا من رجال
 الاسلام يناقضه * او ينقض له دليل يعارضه * من ان اذا اعتبرنا
 تسابق الامم في ميادين التقدم * ونحزب عزائمهم على فعل ما هو اعود
 نفعا واعون * لا يتهاونا ان يميز ما يليق بنا * على قاعدة محكمة
 البنا * لا بعرفه احوال من ليس من خزينا * لاسيما من حقب بنا وحل
 بقرينا * ثم اذا اعتبرنا ما حدث في هذه الازمان * من الوسائط
 التي قربت تواصل الابدان والاذهان * لم نتوقف ان ننصوّر الدنيا
 بصورة بلدة متعده * تسكنها امم متعددة * حاجة بعضهم لبعض
 متأكده وكل منهم وان كان في مساعيه الخصوصيه غريم نفسه * فهو
 بالنظر الى ما يغيرها من الفوائد العمومية مطلوب لساثر بني جنسه *
 من لاحظ هذين الاعتبارين * اللذين لا تبقى المشاهدة في صحتهما
 الدفدين وكان بمقتضى دياتته من الدارين * ان الشريعة الاسلاميه
 كافله بمصالح الدارين * ضرورة ان التنظيم الديوى اساس متين *
 لاستقامة نظام الدين * يسوه ان يرى بعض علماء الاسلام * الموكول
 الاماقتهم مراعاة احوال الوقت في تنزيل الاحكام * معرضين عن
 استكشاف المحوّدات الداخليه * واذهانهم عن معرفة المحتارجه

(٤) *

عليه * ولا يخفى ان ذلك من أعظم العوائق * من معرفة ما يجب اعتباره
على الوجه اللائق * أفحص من أساطير الأمم الجاهل بأمراضها * أو صرف
الوجه الى اقتناء جواهر العلوم مجردة عن أمراضها * كما أنه يسوء علم
الجاهل بذلك من بعض رجال السياسة * والجاهل * بعضهم رغبة
في اطلاق الرئاسة * فلذلك همس يبالى * ما استذكت لاجله
ذبابى * مرانى لوجعت بعض ما استنتجته * مدسسين بأعمال الفكر
والروية * معاشاهدته أثناء أسفارى للبلاد الأوروبية * التي
أرسلنى أنى بعض دولها الخضم الطرد الرفيع الاسمى * والكهف
المنيع الاحمى جبابولى النعم * وزكى الاخلاق والشم * ولم تزل
هزائمه كاهمه صادق * والبدن بالام بالثناء عليه ناطقه * لم يغفل
سعي من فائده * خصوصا اذا صادف اشددة على * به بيضة الاسلام
معاضده * واهم تلك الفوائد عندى * التي هى فى هذا التاليف
مناط قصدى * تذكير العلماء الاعلام * بما يستهم على * معرفة
ما يجب اعتباره * حوادث الأيام * وإيقاظ الغافلين من رجال
السياسة وسائر الخواص والعوام * ببيان ما ينبغي استتكرن عليه
التصرفات الداخلية والخارجية * وذكر ما تنبأ به معرفته من
احوال الامم الاممية * خصوصا من لهم بشارتة استطلاع * وشهد
عاقبة ارتباط * مما اواعوا به من صرف الهمم * الى اتياب
احوال سائر الامم * واستشهادهم ذلك على ما قاله السكر الذى انقوا
شاعها بالام * فجاءت ما تدر بعون الله من مستجداتهم المتعة
بسياسى الاقتصاد والتنظيم * مع الاشارة الى ما كنوا عليه فى العهد
القديم * وبيان الوسائل التي ترقوا بها فى سياسة اعباد * الى

(*)

الغاية القصوى من عمران البلاد * كما اشرت الى ما كانت عليه امة
الاسلام المشهود لها حتى من مورخى اوروبا الايمان * بما يقبض
التقدم في مضمارى العرفان والعمران * وقت نفوذ الشريعة في
احوالها * ونسج سائر التصرفات بنوالها * والغرض من ذكر
الوسائل التي اوصلت الممالك الاورباوية * الى ما هي عليه من المنعة
واللمعة الدنيوية * ان تخير منها ما يكون بحالنا لانقا * ولنصوص
قمر يعننا مبعادا وموادقا * عسى ان نسترجع منه ما اخذ من
ايدينا * ونفخر به بآعماله من رطبات التفريط الموجود فينا * الى
غير ذلك * نتشرف اليه نفس الناظر في هذا الموضوع * المحتوى
من الملاحظات الفلمية والقبليّة على ما نشره بطى قصوله بوضوح * وجميعة
اقوم المالك * في معرفة احوال الممالك * مرتباً على مقدمة وكتابة
يشتمل كل منها على ابواب * وهداية الله نستوضح منهاج الرشاد
والصواب * والمحرم في هذا المجال وان كان فوق طاقتي * لكن
اغضاء الفضلاء مامول في جنب طاقتي * وصدق النية * كافل ان
شاء الله تعالى ببلوغ الامنية *



لما كان السبب الجاهل الى الشيء متعلما عليه طبعاً فاسب ان تقدمه
وضعا ولم يكتف بايماء في الجمعية الى ما دعا بجمع هذا التاليف
بل رأينا من المهم ان نعود الى بصا * هنا ونهني عليه ما اردنا
ايراده في المقامه فنقول ان الباست الاصل الى ذلك امران آيلان
الى مقصد واحد احدهما اغراء ذوى الغيرة والمخزم من رجال

(٦)

السياسة والعلم بالتماس ما يمكنهم من الوسائل الموصلة الى حسن حال
الامة الاسلامية ونخبة اسباب تمدنها بكل توسيع دوائر العمل
والعرفان وتمهيد طرق الثروة من الزراعة والتجارة وترويج سائر
الصناعات ونفي اسباب البطالة وأساس جميع ذلك حسن الامارة
المتولد منه الامن المتولد منه الامل المتولد منه اتقان العمل المشاهد
في الممالك الاورباوية بالعيان وليس بعده بيان ثانيهما تحذير
ذوي الغفلات من عوام المسلمين عن تماديهم في الاعراض عما يحمدهم
من سيرة العبر الموافقة لشرعنا بمجرد ما تنقش في عقولهم من ان
جميع ما عليه غير المعلم من السبر والترايب ينبغي ان يهجروا ليقفهم
في ذلك يجب ان قبلوا ولا تذكروا حتى انهم يشددون الانكار على من
يستحسن شيئا منها وهذا على اطلاقه خطأ محض فان الامر اذا كان
صادرا من غيرنا وكان صوابا موافقا للادلة لاسيما اذا كان عليه وانخذ
من ايدينا فلا وجه لانكاره واحماله بل الواجب الحرص على
استرجاعه واستعماله وكل ممتك بداية وان كان يرى غيره ضالا
في ديانته فذلك لا يمنعه من الاقتداء به فيما يستحسن في نفسه من
اعماله المتعلقة بالمصالح الدنيوية كما تفعله الامة الافرنجية فانهم
ما زالوا يقتدون بغيرهم في كل ما يرونه حسنا من اعماله حتى بلغوا
في استقامة نظام دنياهم الى ما هو مشاهد وشان الناقد البصير
تمييز الحق بمسار النظر في الشيء المعروض عليه قولا كان او فعلا فان
وجده صوابا قبله واتبعه سواء كان صاحبه من اهل الحق او من
غيرهم فامس بالرجال يعرف الحق بل بالحق تعرف الرجال والمحكمة
ضالة المؤمن ياخذها حيث وجدها

ما اشار سلمان الفارسي رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بان عادة الفرس ان يطوقوا مدنهم بخندق حين يحاصروهم ليعتدوا انتقاء من هجومه عليهم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم براهي حفرة خندقا للمدينة في غزوة الايواب عمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين قال سيدنا علي كرم الله وجهه لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال اذا ساء لك الصالح اخذ مثل المنطق من غير أهل ملتهم يرجته من لغة اليونان لما راوه من الالات النافعة حتى قال الغزالي من لا معرفة له بالمنطق لا يوثق بعلمه فاي مانع لنا اليوم من اخذ بعض المعارف التي نرى انفسنا محتاجين اليها غاية الاحتياج في دفع المكائد وجلب الفوائد وفي سنن المهتدين للعلامة الشيخ المواق المسلكي مانصه ان ما نهينا عنه من اعمال غيرنا هو ما كان على خلاف مقتضى شرعنا اما ما فعلوه على وفق الذنب او الايجاب او الاباحة فانا لا نتركه لاجل تماطيلهم اياه لان الشرع لم يمه عن التشبيه بمن يفعل ما لذن الله فيه وفي حاشية الدر المختار للعلامة الشيخ محمد بن طابدين المحنفي مانصه ان صورة المشابهة فيما يتعلق به صلاح العباد لا تنصر على ان اذا تأملنا في حالة هؤلاء المنكرين لما يستحسن من اعمال الافرنج نجدهم يتمتعون من مهاراتهم فيما ينفع من التفتيمات ونتائجها ولا يمتنعون منها فيما يضرهم وذلك اما نراهم يتنافسون في الملابس واثاث المساكن ونحوها من الضروريات وكذا الاسلحة وسائر اللوازم المحورية والمحال ان جميع ذلك من اعمال الافرنج ولا ينبغي لهم لحق الامة بذلك من الشين والحلل في العمران وفي السياسة اما الشين في الاحتياج للغير في غالب الضروريات الدالة على تاخر الامة في

المعارف واما خلل العمران فيعلم ارتفاع صنائع البلاد بامطنانج
تتبعها الذي هو اصل مهم من اصول الحكمة وهذه اذ ذلك
ما تشاهده من ان صاحب الفهم مناوئ تولد الحرير وزرع القطن
مثلا يقضم تعب ذلك سنة كاملة ويبيع ما ينتجه عليه لا فرق بين
بجن يسير ثم يشتريه منه بعد امطاعه في مدة يسيرة باضعاف ما باعه
به وباجملة فليس لنا الا ان من نتائج ارضنا الا قيمة موادها المجردة
دون اتموات العمالة التي هي منشأ توفر الرغبت منها ومن
غيرنا ثم اذا نظرنا الى مجموع ما يخرج من الملكية وقايناه بما
يدخلها فان وجدناها متقاربن خفف الضرر واما اذا زدت قيمة
الدخل على قيمة المخرج فخطئة يتوقع الخراب لاهماله واما خلل
السياسة فان احتياج الملكية غيرها مانع لاستقلالها ومور لقوتها
لا سيما اذا سكان متعلق الاحتياج الضرورات الحربية التي
لو يتيسر ثروتها زمن الصلح لا يتيسر ذلك وقت الحرب ولو باضعاف
القيمة ولا سبب لساذ كرماء الا تقدم الافرج في المعارف الناتجة عن
التعليمات المؤسسة على العدل والحريه فكيف يدوخ للعائل
حرمان نفسه عما هو مستحسن في ذاته ويستعمل الانتاع عما به قوام
نفسه مجرد او هام خيالية واحتياط في غير محله وما يحسن موقعه منا
قول بعض المؤلفين من الاوربا وبين في السياسات الحربية ان
الممالك التي لا تنسج على منوال مجاورها فيما يستحق ثوبه من
الالات الحربية والترائب العسكرية يوشك ان تكون غنيمة
ولو بعد حين ونخص التراب الحربية لانها موضوع كتابه والا فالواجب
مجاراة الجوار في كل ما هو مظنة تقدمه سواء كان من الامور العسكرية

ومن غيرها وما يؤيد ما قرأنا قوله صلى الله عليه وسلم انما هم بن
 ايت من حديث من قاتل قليق اقل كما يقاتل ويوضح هذا ما تضمنته
 قصة الصديق محمد بن الوليد رضي الله عنهما حين بعثه لقتال
 المرتدين فقال يا خالد عليك بتقوى الله والرفق بجمعتك الى ان قال
 المخرف عند أهل اليمامة فاذا دخلت بلادهم فاحمدا واحذرتم اذا
 اقيت القوم فقتلهم بالسلح الذي يقاتلونك به السهم للسهم والرمح
 لرمح والسيف للسيف قلت ولواحدك هذا الزمان لا بد لك من دفع
 لشخصان ومكحلة الابرة والسفينة المدرعة وضوءا من الخترعات التي
 تتوقف عليها المقاومة ولا يحصل بدونها الاستعداد الواجب شرعا
 الذي يستلزم معرفة قوة المستعد له والسعي في تهيئة مثلها او تعويض
 منها ومعرفة الاسباب المحصلة له وبناء على ذلك يقال هنا هل يمكننا
 اليوم الحصول على الاستعداد المشار اليه بدون تقدم في المعارف
 واسباب العمران المشاهدة عند غيرنا وهل يتيسر ذلك التقدم بدون
 اجراء تنظيمات سياسية تناسب التنظيمات التي نشاهدها عند غيرنا
 في التماس على دعائى العدل والحرية اللذين هما اصلان في
 شريعتنا ولا يخفى انهما ملاك القوة والاستقامة في جميع الممالك
 ولما كان الغرض من هذا الكتاب لا يتم الا ببيان احوال البلدان
 الاورباوية لزم ان تثنى النماذج الى مدرجين في اثنا عشر مائتا
 الامة الاسلامية فنقول ان الحملة الزامنة في ممالك اوربا لم تكن
 الا من قديم الزمان لانها كانت بعد هجوع البرابرة السجاليين
 من الدولة الرومانية سنة اربع مائة وست وسبعين مسيحية

على انقلح حال من التوحش والاعتداء والجمور آخذة في حركة السحق
التي هي اسرع من الصعود طبعاً ولم تنزل في ربة الرق للملكها وكبر
الام المجاورة المحيين بالنوبليس الى زمن ولاية الامبراطور شارل
ملك فرنسا ومعظم عمالك اوربا سنة سبع مائة وثمان وست
فبذل غاية جهده في اصلاح حال الناس بسعيه في تنمية المعارف
وغيرها ثم بعد وفاته رجعت اوربا الى الغياهب جهالتها وظلم ولا
كما بقي تفصيله ولا يتوهم ان أهلها وصلوا الى ما وصلوا اليه جز
نصيب أو اعتدال في اقاليمهم اذ قد يوجد في اقسام الكرة ما
مثلهما أو أحسن ولان ذلك من آثار حياتهم اذ الديانة النصرانية
ولو كانت تحت على اجراء العدل والمساواة لدى المحكم لكانت الاعتداء
في التصرفات السياسية لانها تأسست على التبتل والزهد في الدنيا
حتى ان عيسى عليه السلام كان ينهى اصحابه عن التعرض للملو
الدنيا فيما يتعلق بسياسة احوالها قائل ان لا شيء له ملك في هذا
الدنيا لان سلطان شريعته على الارواح دون الاشباح والمخلوقات
في عمالك البابا كبير الديانة النصرانية لا تمتناعه من الاقتداء بما تراتيب
السياسية المعتبرة في بقية الملوك الاورباوية دليل واضح على
ما ذكرناه وانما بلغوا تلك الغايات والتقدم في العلوم والصناعات
بالتنظيمات المؤسسة على العدل السياسي وتسهيل طرق الثروة
واستخراج كنوز الارض بعلم الزراعة والتجارة وملك ذلك كله الامم
والعدل المذان صاروا طبيعة في بلدانهم وقد جرت عادة الله في
ان العدل وحسن التدبير والتراقيب المحفوظة من اسباب غموا

والأنفس والثرات وبضدها يقع التقص في جميع مآثر كرمها ومعلوم
 من شريعتنا والتواريح الإسلامية وغيرها فقد قال صلى الله عليه وسلم
 لعبدل عز الدين وبه صلاح السلطان وقوة الخاص والعام وبه أمن
 لرعيته وخيرهم ومن أمثال الفرس الملك أساس والعبد حارس
 إن لم يكن له أساس فهو دوم وما لم يكن له حارس فضائع وفي نصائح الملوك
 نولي الأمر يحتاج إلى ألف خصلة وكلها مجموعة في خصلتين إذا عمل بهما
 كان حادلا وهما عمران البلاد وأمن العباد

ومن تصفح الفصل الثالث من الكتاب الأول من مقدمة ابن خلدون
 رأى أدلة واضحة على أن العلم مؤذن بخراب العمران كيفما كان وبما
 جاءت عليه النفوس البشرية كان إطلاق أيدي الملوك مجلبة للظلم
 على اختلاف أنواعه كما هو واقع اليوم في بعض ممالك الإسلام ووقع
 بمالك أوربا في تلك القرون هندا استبداد ملوكها بالتصرف المطلق
 في مريد الله من غير تقيد بأفون عقل لمنافاته لشهواتهم ولا شريعتهم
 وجوده في الديانة المسيحية المبنية على التبتل والزهد في الدنيا كما تقدم
 وما أشرف بعض ملوكهم على إرضعلال وفساد الاستقلال
 الإيسوي نصر فوسم الثاني عن إطلاق أيديهم مع حسن سيرة مجاورهم
 إذ ذاك من الأمة الأسلامية النافج عن تقيد ولاتهم بقوانين الشريعة
 المتعلقة بالأمور الدينية والدنيوية التي من أصولها المحفوظة استخراج
 العبد عن راعية هواه وحماية حقوق العباد سواء كانوا من أهل الإسلام
 أو من غيرهم واعتبار المصالح المناسبة للوقت والحال وتقديم دور المفساد
 على المصالح إذا تكلمت أنصف الضرر من اللزوم أحدهما

ومن أهم أصولها وجوب المشورة التي أمر الله بها رسوله المصوم موسى
الله عليه وسلم مع استغنائها عنها بالوحي الالهي وجماعاً وأودع الله فيه من
الكلمات خصالاً الحكمة أن نصير سنة واجبة على المحكام بعده
قال ابن العربي المشاورة أصل في الدين وسنة الله في العالمين وهي حق
على عامة الخلق من الرسول إلى أقل الخلق (ومن) كلام على رضى الله
عنه لأصواب مع ترك المشاورة من الأصول المجمع عليها وجواب تغيير
المنكر على كل مسلم بالغ عالم بالمشكرات (وقال) بحسب الإسلام الغزالي
المختلفاء وملوك الإسلام يعبون الرسل ولو كانوا على المنابر فقد قال
عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يخاطب أهل الناس من رأى منك
في أعوجاج فليقومه فقام له رجل وقال والله لو رأينا فيك أعوجاجاً
لقومناه بسيفنا فقال الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يقوم أعوجاج
عمر بسيفه ولا شك أن مثل هذا الإمام العادل الشديد في حماية الدين
وحقوق الخلافة لو لم يمدح من الشر يعبه لذلك الإكلام معناه فيه من
المشقة ما جدا لله عليه بل كان الواجب ردة وزير قائله (وروى)
الغزالي أيضاً في كتاب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) من الأحياء
أن معاوية حبس عطاء الناس فقام إليه أرمم الخولاني فقال أنه ليس
من كذك ولا من كذا إليك ولا من كذا أمك فقال معاوية بعد ما كان
غضبه بالوضوء صدق أبو سلم أنه ليس من كذا ولا من كذا في فعلوا
إلى عطاءكم قلت لولا التنبيه المشار إليه ما استقام للبشر ملك لا بالوواع
ضروري لبقاء النوع الانساني ولو ترك ذلك الواع ففعل ما يشاء
وبحكمهم بما يريد لم تظهر ثمرة وجوب نصبه على الأمة لبقاء الأعمال بحاله
فلا بد للوواع المبذور من وازع له يقف عنده ما شرع معاوى
أوساية

أوسياسية مشروطة وكل منهما لا يدافع عن حقوقه إن انتهكت فذلك
وجوب على علماء الأمة وأعيان رجالها تغيبوا عن المسكرات
ونصب الأوتار ويون المجالس وحرور المطابع فالغير وزن للسكر في الأمة
الاسلامية تتفهم السلوك كما تتقن ملوك أوروبا والمجالس وآراء العلماء
الناشئة عنها وعن حرية المطابع ومقصد الفريقين واحد وهو
الاستعانة على الدولة لتكون سبيلهما مستقيمة وإن اختلفت الطرق
الموصلة إلى ذلك وماذا كثرناه أشار إليه ابن خلدون في فصل الامانة من
مقدمة حيث قال ان الملك لما كان عبارة عن المجتمع الضروري
للذين ومقتضاه التغلب والفهر اللذان هما من آثار القوة القضائية
المركبة في الانسان كانت أحكام صاحبه في الغالب حادثة من الحق
مجيئة غير تحت من الخلق فلهذا يأنهم في الغالب على ما ليس في طوقهم من
شهوانه فتعمر طاعته لذلك وتضيء المعصية القضائية إلى الهرج والقتل
فوجب ان يرجع في ذلك إلى قوانين سياحية مفروضة يسلمها التكافة
ويتمادور إلى أحكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الامم واذا اعلنت
الدولة عن مثل هذه السياسة لم يستقم أمرها ولا يتم استبلاؤها ما إذا كانت
هذه القوانين مفروضة من العقل وأكابر الدولة ومعاونيها كانت
سياسة عقلية وإذا كان فرضها من الله تعالى بشارع يقررها كانت
سياسة دينية نافعة في الدنيا والآخرة انتهى

(قلت) والنفع المذكور انما يكون تاما بما فيها محبة مزمة بصونها
والدب عن حوزتها مثل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أثرنا
عليه هذا وانما تشكر امكان أن يوجد في الملوك من يصح من تصرفه
في الملكية بدون مشورة أهل الحل والعقد ويجعله بحسب الانصاف على

الاستعانة بالوزير بالاعراف النصوص فيما يشكل عليه من المصالح لكن
 اسكون ذلك من التناذر الذي لا يعتبر لاستناده الى اوصاف قلما تقتض
 في انسان وعلى فرض اجتماعها ودوامها تهزول بزواله ووجب علينا
 أن نجزم: أن مشاركة أهل المحل والعقد للوك في كليات السياسة مع
 جعل المسؤولية في إدارة المملكة على الوزراء المباشرين لها بمقتضى
 قوانين مضبوطة مراعى فيها حال المملكة اجاب مخبرها وحفظ له
 وبين أن ذلك ان حالة المسوك بمقتضى الطبيعة البشرية لا تخرج من
 صور ثلاث لان الواحد منهم اما ان يكون كامل المعرفة والمهبة مخبر
 الوطن قادر على اجراء المصالح بمراعاة الاصلح او يكون كامل المعرفة
 ولكن له اغراض وشهوات خصوصية تصده عن مراعاة المصالح
 العمومية او يكون ناقص المعرفة ضعيف المباشرة ومثل هذه الصور
 الثلاث يعتبر في الوزير المباشر ولا يخفى ان لزوم المشورة ومسئولية
 الوزراء في الصورة الاولى لا يطل كامل المعرفة عن مقصده الحسن
 بل يبينه حيث ان اراء الجميع متعاضدة الى المصلحة كما انه سهل دوام
 الملك في عائلته ولو كانوا من ماصدقات الصورين الاخيرين الواضح
 فيهما تاتا كد المشورة والمسئولية لوجوب المعارضة في الثانية والاعانة
 في الثالثة فبذلك يستقيم حال المملكة ولو كان الواي أسير الشهوات
 أو ضعيف الرأي كما قال المترجم لنا من مخبر دول الانكليزي ان رفعة
 شان الامة الانكليزية بانفت الغاية في مدة الملك جورج الثالث الذي
 كان مجنوناً وماذا لك الا بمشاركة أهل المحل والعقد ومسئولية الوزراء لهم
 وقد سبق الى بعض الأذهان الضعيفة ان تكليف من تخشن سيرته من
 الوزراء بفعله تعالى الصورين الاخيرين بحيث لا يحتاج لأهل المحل
 والعقد

والعقد وهو ظاهر السقوط لان تقديم الوزير للبشارة وتأخيرها عنها يسبب
 الملك ولا يخلو ان الملك يتقدم من يعلم انه يخالفه مخالفة معتبرة وعلى
 غير من تقديمه وسيره مسيرة مستقيمة فان اثرى ان حال الوزير دائرين
 امرين لانه امان يوافق الملك وحاشيته على اغراضهم وشهواتهم مرجحاً
 بذلك حفظ نفسه . وضرر الملك في هاته الحالة لا يكاد يخفى . واما ان
 يخالفهم ويأمر من فحتم من المتولفين بما تقتضيه مصلحة البلاد . وحينئذ
 فمن اين له هذا الحق وبأى ظهير يستظهر على تلك المخالفة خصوصاً
 اذا لم تكن هناك شريعة نافذة تعصيه من تحزب حساده الذين غاية
 املهم اضراره وتعطيل تصرفاته المحسنة المقللة لقوائدهم بكل وجه
 امكانهم ولو بتفويض اذنه على غير مقصوده او تأخيرها عن الوقت المناسب
 ليظهر الخلل ويكثر الزلل او باخفاء جليل حسنة او اضرار حقير سبباً
 لتغيير القلوب عليه ومن دعاء على رضى الله عنه اللهم احفظنى من عدو
 مرطاني ان رأى منى حسنة دسها وان رأى سيئة اشهرها ثم اذا غيب الله
 آمالهم بنجاح سعى الوزير بالشار إليه في ادارة المملكة رجعوا الى سلوك
 طريق الوشاية به عند الملك بأن يقولوا انه استبد عليك ولم يبق لك من
 الملك غير الاسم الى غير ذلك من انشاء الغشاق التي قد ترجح على العاقل
 قبل التبين خصوصاً عند الدول المشرقية فكيف يتيسر للوزير والحالة
 ما ذكر ان يجري ادارة المملكة على مواقع المصلحة مخالفاً بذلك من هو
 الخضم والمحكم ولما في هاته الحالة الثانية من العوائق يضطر الوزير
 ليغير كوراماً الى اختيار الحالة الاولى بالمجاراة وسلك طرق المداواة
 به . وذلك وخيمة لعوده بالمضرة على الوطن والملك وعليه متفهم لان
 يصح تنجذاب الموافقة على الشهوة في الحال انما تنافي عنه تراب المملكة

يستعقب مرارة الندامة في السائل وأما إلى الاستعفاء من الخدمة بالمرة وهو
 وإن لم يكن واجبا لمحفظ ذاته فهو واجب للتخلص مما يتوقع من الموافقة
 على ما يؤل إلى خراب المملكة الموجب لعراق الخلق ولوم الخلق إذ
 الإنسان ولو ما غلبه الخاطرة بنفسه لمصلحة الوطن لا يسوغ له الخاطرة
 يدياته ومجته وما يجب عليه من الطاعة لذلك والخدمة للوطن لا يحصلان
 إلا ببذل المجهود في التصحيح بمجال المصالح ودوره المقاسدان قدر علمهما
 وإن لم يقدر فما لا امتناع من الموافقة على ما يضر فإن لم يفعل كانت موافقته
 مع العلم ما ينشأ عنها من المضرة خيانة
 فبان بهذا أن الممالك التي لا يكون لادارتها قوانين ضابطة بحفظ وتبرعاية
 أهل المحل والعقد خيرها وشرها مختصر في ذات الملك وبحسب اقتداره
 واستقامته يكون مبلغ نجاحها وينهد لذلك حالة المسألة الأولى
 في القرون الماضية قبل تأسيس القوانين فقد كان لهم في ذلك الوقت
 من التوراه من أهم شهرة إلى الآن بتسام المعرفة والمرؤة ومع ذلك لم يتيسر
 لهم حسم مواد الخلل المنبعث من صور في استبداد الملوك المشاهير إليهما
 لا يقال إن مشاركة أهل المحل والعقد للأمر في كليات السياسة تضيق
 لبعة نظر الامام وتصرفه العام لا ما نقول هذا التوهم يندفع بمطابقة الأحكام
 الإسلامية لا وأوردى فإنه قال فيه عند بيان وزارة التفويض هي أن
 يستوزر الامام من يفوض اليه تدبير الأمور برأيه وامضاء ما على
 اجتهاده وليس يتمتع جواز هذه الوزارة فإن الله تعالى يقول حكاية عن
 نبيه موسى عليه السلام (واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخى
 أشدد به أزرى وأشير كفى أمرى) فاذا جاز ذلك في النبوة كان في الإمامة
 أجزوا انتهى

(١٧)

(قلت) فاذا جاز تشريك الامام لوزير التوقيع على الوجه المذكور ولم يعد مثل ذلك تنقيصاً من تصرفه العام كان تشريكه بمساعدة أهل المحل والعقد في كليات السياسة أجوازاً لان اجتماع الآراء الى مواقع الصواب أقرب ولهذا لما جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة شورى بين ستة قال ان اتفقوا اثنين وأربعة فكونوا مع الاربعة (مبلا منه الى الأكثر لان رأيهم الى الصواب أقرب قاله السيد السند) وان تساوا فكونوا في الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف على ان المولى سعد الدين في شرح العقائد لم يمنع المشاركة في تصرفات الامامة وقصر منع التعدد على منشأ الفساد حيث قال في أثناء مبحث الامامة غير المجاز هو نصب امامين مستقلين بحسب طاعة كل منهما على الانفراد لما يلزم عليه من امتثال احكام متضادة وأما في الشورى فالشكل بمنزلة امام واحد انتهى أى لان تعدد الاختصاص لا ينافي وحدة الامامة التي حدارها على وحدة الامر والنهي وقد سلم كلام السعد مشوه كالفاضلين عصام الدين وعبد الحكيم وقرره الخبالي بقوله وقد يجاب أيضاً وبالمجمل فكلامهم معترف بهذه كلام السعد في نفسه وظاهر حينئذ أحرورية جواز الشورى في كليات السياسة بالمعنى الذي أشرنا اليه اذ هي دون الشورى في سائر التصرفات ثم ان الشورى على الوجه المذكور ليس فيها تضيق لدائرة سلطة الامامة وهو مصروفها باعتبار ان نظر أهل المحل والعقد بمنزلة نظر الامام ومراعاة كونه مقهوراً له لاستبداده بتشيته وإدارته مع ما يستبذه من التصرفات التي لا تقتضي المشاركة كاجراء الخطة السياسية والتجربة مع الاجانب ونصب رباب الخطة وتأخيرهم وتنفيذ سائر الاحكام ونحو ذلك من التصرفات

التي هي محل وحدانية الآخر وهالك شاهدا آخر من كلام الامام ابن العربي
فانه قال في المغامرات التي تؤخذ من الناس عند فراغ بيت المال انها
تؤخذ بجهرا لاسرا وتنفق بالعدل بالاستشارة ويرأى الجماعة
لا بالاستبداد انتهى ولزيادة البيان نستوضح ذلك بمثال وهو ان
مالك البستان الكبير مثلا يستغنى في اقامته وتدير شجره عن الاستعانة
بأعوان يكون لهم مزيد معرفة بأحوال الشجر وما يصلحه أو يفسده
فاذا اتفق ان رب البستان اراد قطع شئ من فروع شجره لما رأى
في ذلك من تقوية الاصول وتنمية ثمارها فلم يوافق أعوانه على ذلك
علماء منهم حتى قواعد الفلاحة ان القطع في ذلك وقت مما ينشأ عنه
موت الشجرة من أصلها فتعطيل ارادة المالك في ذلك لا يعد تضييقا
لسعة نظره وحرمان تصرفه في بستانه وقد يكون مستندا لأعوان في تعطيل
ارادته أرا شريعا كما اذا اراد بيع الثمرة قبل بدو صلاحها مثلا
فأشاروا عليه بأن ذلك لا يرضاه خلق الشجر الذي هو المالك
الحقيق فيلزمه الرجوع لأبيهم في المثاليين والاتوجه القوم اليه واستحق
ان يحجروا عليه وهل يقال حينئذ ان ذلك تضييق على رب البستان بل ان
التوسعة عليه مضادة للحكمة الالهية في ايجاد العالم واستعمار أرضه
ببنی آدم هذا مع ان منفعة البستان مختصة بربه أما اذا كانت له
ولغيره أو أنزلته فيها كما قال عمر رضي الله عنه كنز له والى اليتيم فأحرى
ان لا يتوهم ان ذلك تضييق عليه وعلوم ان تصرف الامام في احوال
الربة لا يخرج عن دائرة المصلحة وان انقياد مصالح الامة وتدير
سياساتها لا يتيسر لكل احد تعطيل الارادة حينئذ انما يقع في شئ
خارج عن دائرة التصرف الموسوغ له فقرر بما شرعناه ان دفاع
ذلك

ذلك القبول وأنه لا مانع من التشريك على الوجه المذكور ومن لاحظ
جانب المقتضى كما لاحظناه الشيخ ابن العربي فيما قدّمناه عنه وهو
ملحوظ في جميع ما أسلفناه لم يتوقف في الجزم بتعيينه لاسيما في هذا
الزمان الذي دل فيه الم عرفان وكثر الطغيان وقد كانت وقعت
بين وبين أحد أعيان أوربا مشكلة اسبب فيها مدح ماصكهم
ودكر ماله من مزيد المعرفة بأصول السياسة حتى قال انه متقيد بطبعه
وعقله عر سلوك غير منهاج الصواب فقلت له كيف تشاؤون في الحرية
السياسية وترومون مشاركتكم في الامور الملكية والحال انكم
تسلون له من السكالات ما لا يحتاج منه الى المشاركة فأجابني بقوله
من ضمن انما بقاءه مستقيما واستقامة ذريته بعده

ومما يناسب سؤقه هنا ما ذكره المؤرخ الشهير ثيارس أحد أعضاء
مجلس النواب بفرنسا الآن وكان وزيرا للملك لويز فليب في آخر
تاريخه المشهور عند ذكر عواقب الاستبداد وان العمل بالرأي
الواحد مذموم ولو بلغ صاحبه ما بلغ من السكالات والمعارف بعد ما ترجم
لنابوليون الاول بأوصافه الخاصة والحقة في السياسة بافراد الرجال
لذين جاد بهم الدهر في القرون الماضية حتى وصفه بهمة اسكندر
الرومي وقصر الروماني وذكره أنيبال الاقريطي ومما رقه الحرية
لي أن قل مخاطبا للفرنسيس تعالوا نخرج النظر في أفعال هذا الملك
لتي هي في الحقيقة أفعاله فيستفيد منها من كان جنديا كيف ينبغي أن
ناد المجيوش ومن كان من رجال الدولة معرفة كيف ينبغي ان
يكون ادارة المملكة وكيف ينبغي ان يرتفع شأنها بدون خروج
من دائرة التواضع والرفق اذ المعاملة متى لم تكن معصونة برفق

وقناعة لا تحصل وربما يفضى ذلك الى أسباب الاضطلال كما
أفضت اليها سيرة المذكور الذى هو أقل البشر قناعة فبالجملة نعتبر
يه طائفة فتقبيها ثم نستفيد معاشرا أبناء الوطن تربية أخيرة لا يسع تسليتها
وهي انه لا يسوغ أبدا أن يسلم أمر المملكة لانسان واحد بحيث تكون
سماعتها وشقاوتها بيده ولو كان أكل الناس وأرجعهم عقلا واسمعهم
عاشا ونحن وان كنا لسنانته قد فعل نابوليون في افتسكك فرنسا من
أيدي الدير كتوار بعد ان كانت أشرفت على الضياع في أيديهم لكن
يرى ان وجوب استقلال المملكة من تلك الايدي الضعيفة الخاسرة
لا يكون حجة في اسلامها اسلاما مطلقا ليد قاهرة متهورة لا تبالى بشيء
ولو كانت هي اليد المنتصرة في ريفلى ومرنغو على اننا نقول ان كان
هناك أمة تعذر عذرا ما في تسليم أمرها لشخص واحد فلا تكون
غير الامة الفرنسية في ذلك الوقت أعنى سنة ثمانمائة وألف
حين استراست نابوليون المذكور عليها والناس اذ ذاك فوضي
لاسمرة لهم ولم يكن المشير عليها بذلك قاصدا بمجرد تضييقها لاجبائها
الى قيود العبودية بل كان الخوف محققا بالمشاهدة فواحسرة تلك الامة
على ألوف من النفوس البريئة حشرت بالجزيرة وألوف كذلك خنقت
يسجون الدير وألوف أخرفت بوادي لوار وبالجبل فهدل بأولئك
المتخذين من أفعال المتوحشين أمر فطبيع روعهم وأرعد فرائصهم
ولم ير الا بعد سكون تلك الثورة القاسية رائجين بين السياقين المواعين بقطع
الرؤس وهم جماعة الدير كتوار وبين الجمال المتغربين عن وطنهم
وهم شيعة الملوك الذين كانوا برومون باراقة الدماء ارجاع فرنسا الى
الحالة القديمة التي كانت قبل الثورة معما طرا عليهم في أثناء ذلك
الاضطراب

الاضطراب من ظهور سيف الاجنبى متهددا فينتهاهم في محج الهرج
اذ اقبل من المشرق الشاب المنصور الذى ذلت له صعاب الامور
العاقل المتواضع الغرى باستحالة قلوب البشر وهو نابوليون
المشار اليه افتراهم والحالة هذه لا يعذرون في اللقاء زمائم بيد
المذكور بل

اذالم تكن الا الاسنة مركبا * فلا يصح المضطر الاركوبها
ومع ذلك فلم تمض الاسنات قليلة اذ انقلب ذلك العاقل مجنونا يصنون
غير مماثل مجنون ارباب الثورة والمجنون فنون فانه تقرب بمليون من
لنفوس في ميدان الحرب وجل اهل اوربا على التعصب على فرنسا
حتى بقيت مغلوقة غريقة في دماها مملوكة من نتائج انتصارها مدة
عشرين سنة بحيث صارت على حالة ترى لها ولم يبق لها ان تستقر بعد
ذلك الا ما كان مزدحما فيها من بذر التمدن الوقتى فمن كان يظن ان
عاقل سنة ثمانمائة وألف يمكن في سنة اثنتى عشرة وثمانائة والف
نعم كان يمكن توقع ذلك لو امعنوا النظر في ان الذى له القدرة التامة
بحيث يستطيع ان يفعل كل ما يريد معه داء لادواء له وهو الشهوة
الداعية لفعل كل مستطاع ولو كان قبيحا اذا تقرر هذا فعلى ابناء الوطن
ان يتاملوا سيرة المذكور ويستخرج منها كل فريق ما يناسب خطته
والاهم امر واحد وهو ان لا يطاق امر الوطن لانسان واحد كائننا من
كان وعلى أى حالة كان وقد ختمت هذا التاريخ الطويل المستوعب
لاحوال نصرنا وانتهزنا بهذه الصيحة بل النصيحة الصادرة عن
صميم قواى غير مشوبة بربا راجيا بلوغها الى قلب كل فرنساوى
ليقتن جميعهم انه لا يلىق بهم بذل جريرتهم الى احد كالا يفتنى اهم

الافراط فيها حتى تنتهك حرمتها انتهى المراد منه وفي حكمة ارسطوان
من الغلط الفاسح ان تعرض الشريعة بشخص تصرفه بقية ارادته
فاذا نامت كلامي هذين الحكيمين وما تصحته اولهما من اشاحة
في الاستبداد مع كون المستبد من المشهود لهم زيدا العرفان والاهلية
تعرف بذلك ما جلت عليه نفوس القوم من حصرية والامتناع من
ظلم الملوك كما يشهده كلام سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه في
حديث مسلم الذي رواه المستورد القرشي رضي الله عنه فقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقوم الساعة والروم أكثر
الناس فقال عمرو ابصر ما تقول قال أقول ما سمعته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لئن قلت ذلك ان فيهم لخر لا لأربعانهم لاسلم الناس
عند فتنة وأسرعهم افاقة بعد مصيبة وأوشكهم كربة بعد قرة وخيرهم
لمسكين ويقيم وضعيف وخامسة حسنة جميلة وأجمعهم مالم الملوك
هذا وقد كانت الحقبة الاسلامية وقت انتمائها للأصول الشرعية
المشار الى بعضها سابقا بالمكانة التي تتم التردد والشوكة المحرومين
بسياج حسن تدبير أمرائها وعدلهم واستجلاهم برضاء الله تعالى بتعمير
أرضه نقل صاحب كشف الظنون ان بعض العلماء قال لو علم عباد الله
رضاء الله في احياء أرضه لم يبق على وجه الارض موضع خراب
ومن حكم ارسطو العالم بستان سيماجه الدولة والدولة سلطان تعيابه
السنة والذمة سياسة يسوسها الملك والملك نظام يعضده مجند؛ مجند
أعوان يكلفهم المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية عبيد يكلفهم
العدل والعدل مألوف وبه قوام العالم فقد تضاءلت هذه الكلمات
الحكمية الاشارة يجعل العالم بستانا الى تشبيه الرعية بشجر ثمرته المال
وحارسه

وحاربته المجند وان استقامت الدولة بها حياة السمة السيامية التي هي مادة
حياة يستأنف العالم ومن آثار ثروة الأمة الناتجة عن احترام اصول العدل
ما حكمه المقرير في الخطط قال لما سار المأمون في قرى مصر وكان يقيم
بالقرية يوما ليلة اجتمع به قرية وقال لها طاء النمل ولم يقيمها فتوسلت
اليه بحوزة كبيرة بالقرية في الإقامة فأسمعها واحضرت من لوازم نفقة
الخليعة وجنوده ما عظم لديه امره واهدت له حين هزم على الرحيل عشرة
أصكياس من سكة الذهب كلها ضرب عام واحد فازداد تعجبه وقال
ربما يهزيت ما نسا عن مثل هذا ورد عليه ما هار فقام بها فلم تقبل
وقالت هذا مشيرة الى الذهب من هذه اى طينة الارض ثم من عندك
يا أمير المؤمنين ومنذ من هذا شيء كثير فقبله واعظم جازتها انتهى
بتصرف واختصار (وحكى) ايضا ان خراج مصر بلغ في زمن الخلفاء
الراشدين أربعة عشر مليون دينار وقدرها بسكة الوقت نحو سبع مائة
مليون فرنك وهذا المبلغ دخل اىالة واحدة مع الانصاف في الجباية
وحكى ابن خلدون في المقدمة ان المأمون المأمون الى بيت المال في أيام الرشيد
العباسي بلغ الى سبعة آلاف وخمسمائة قنطار ذهب او قدر ذلك تقريبا
ألف وأربعمائة مليون فرنك وهذا دون ما يؤخذ من العين ويدل على
القوة العكسية الناتجة من عدل الشريعة واتحاد الأمة ما تيسر لهم
من الفتوحات التي يشهد بها المؤرخون من الفريدين ويصدقها العيان
ففي قرة العيون الذي ترجمه الشيخ احمد الزركى المصرى من اللغة
الهندية - اوية وعدم حسنات المطبعة المصرية ان الاسلام فتح في ظرف
ثمانين سنة من الاقاليم أكثر مما فتحه الرومان في ثمانية قرون وبما
نقلناه يعلم ما كان لازمة الاسلامية من غزو العمران وسبعة الثروة والقوة

الحريرية الناشئة من العدل واجتماع الكلمة وانعوة الممالك واتحادها
في السياسة واعتنائها بالعلوم والصناعات ونحوها من المسائل العرفانية
التي ظهرت في الاسلام ونسج الاوربا ويون على متوالها وشهدا المنصفون
منهم بفضل التقدم فيها للامة الاسلامية

ففي تاريخ دروي و ذير المعارف العمومية بفرنسا الا ان مامعناه يبينما
أهل أوربا تاهون في دجى الجهالة لا يرون الضوء الا من سم الخياط اذ
سطع نور قوى من جانب الامة الاسلامية من علوم أدب وفلسفة وصناعات
واجمال يد وغير ذلك حيث كانت مدينة بغداد والبصرة وسمرقند
ودمشق والقيروان ومصر وفاس وغرناطة وقرطبة مراكز عظمى لدايرة
المعارف ومنها انتشرت في الامم وَاغْتَنِمَ منها أهل أوربا في القرون المتوسطة
مكتشفات وصناعات وفنون علمية يأبى بيانها وفيه يقول كانت الآداب
قبل انتشار العرب من جزيرتهم متأصلة فيهم مؤداة بلعنين الحميرية في اليمن
والقرشبة في الحجاز وبالأجيرة جاء القرآن (ولا يخفى عليك ابن الذي
يقابل الحميرية هو المضربة وان وقع الاجماع في القراءة على خصوص
القرشية) ولذلك اشتهرت واستمر خلوصها الى وقتنا هذا باستمرار كتب
العلم والديانة وما دخلت البهجة في اللسان الابدخول الامم في الاسلام
وتطاول السنين * ولغة المذكورة من الاتساع وسعة المجال ما لا يخفى
على مشافها لا سيما في الاشياء التي بها قوام المعيشة في البادية أو تتمكرر
رؤيتهم لها أو تكثر حاجتهم اليها فقد يكون للشئ الواحد عدة اسماء
باعتبار تعدد صفاته واحواله وبكثرة الترادف عندهم اتسعت لهم
حوادث الآداب الشعبية اذ يقال ان للعسل عندهم ثمانين اسما ولله عيان

ماتين وللاسد خمسة اذنة وللجمل الفأر كذا السيف ولذا هبة فتحوار به
 آلاف اسم ولا جرم ان استيعاب مثل هذه الاسماء يستدعي حافظة قوية
 وللعرب من قوة الحافظة وحدة الفكر ما لا يسع احدا ان يحكمه من
 مشاهيرهم حماد الراوية الذي ذكر يوما للخليفة الوليد دابة ينشد له
 في الحال مائة قصيدة والقصيدة من مشرين الى مائة بيت فتعب المستمع
 قبل المنشد الى ان قال ولم يكن للعرب في اول الامر الا تلك الاكواب
 ثم لما اتسعت لهم دوائر الفتوحات واختلطوا بالامم الذين سبقوهم
 في الحضارة اتسع لهم نطاق المعارف فأتخذوا من اليونان تاليف اوسطو
 وثرخوها بما معان نظر لئلا يكن من سوء البخت لم يأخذوا الفلسفة من كتب
 اليونان الاصلية وانما تعلموها من المكتبة المترجمة بلغة اهل الشام فهم
 ترجموا المترجمة فلذلك لما نقلها الفيلسوف العربي حفيد بن رشد الى
 اوروبا في القرون المتوسطة وجد بها من التعريف اكثر مما وقع فيها اولا
 واما العلوم الرياضية فقد صادف فيها العرب المرمى والفضل في ذلك
 للعلماء الذين جلبهم الخليفة المأمون من القسطنطينية وفي اوائل
 القرن التاسع المسيحي امر الخليفة المذ ~~مذكور~~ ^{مذكور} طالبين من فلكية
 بغداد ان يقيسوا مسافة درجة واحدة من خط الطول بهر اسنجر
 ويرتاها ليثبت بذلك تكوير الارض بالمشاهدة وقد تبين ذلك
 باختلاف ارتفاع القطب الشمالي عن طرفي الخط المقيس وقد شرح
 العرب كتاب اقليدس وهذوا ازيح بطليموس وحوروا حساب
 تهريج منطقة النروج كما حوروا الفرق بين اوقات الاعتدال والفرق
 بين السنين الشمسية والرمنية فوجدوا بين السنة الشمسية والسنة الرمنية

هذه دقائق واخترعوا للتحريرات آلات جديدة الى غير ذلك مما يدل على ما للعرب من قابلية العلوم الى رياضة ومنهم حازت مدينة سمرقند قبل أوربا بكثير محل رصد عجيب وأما ما ينسب للعرب من اختراع الجبر والمقابلة والارقام الحسابية المعماة عندنا بالارقام العربية فلم يثبت بل انما تعلموا ذلك مع فلسفة ارسطو بالتلقي من غيرهم وهي من العلوم التي وجدوها باسكندرية ويمكن انهم نقلوا اليها على ذلك الوجه البوصلة اي بيت الازرة والبارود الذي تعلموه من اهل الصين كما يعترف لهم اهل أوربا بجزية اختراع السكاغ من القماش وبذلك كثرت السكب ودنت أسلحوها وسهل الطبع وتوفرت نتائجه بعد وجوده وقد اشتهر العرب ايضا بعرفة الطب الذي كانوا تلقوه من كتب اليونان ولابن رشد تعليقات عديدة على كتب جالينوس شاهدة بما ذكر ومن فلاسفتهم عدة أخصاص صاروا في وقت واحد حكماء وأطباء مشاهير مثل أبي علي بن سينا والمتوفى سنة ست وعشرين وأربعمائة هجرية وابن رشد المذكور وقد بلغوا من الشهرة الى حيث صار أعداؤهم في ذلك الوقت يرغبون في معاجلتهم اياهم كما يحكي ان بعض ملوك قسطنطينة كان اعتراه مرض الاستسقاء فاشتفى أن تكون معاجلته بقرطبة وحصل من لطف الخليفة على الاذن في أن يذهب ويدأويه العلون ومن ما ترحكماء العرب مكيفة تقطير المياه واستعمال الراوند وأدوية كثيرة ومن العلوم التي لهم الفضل فيها الجغرافيا وبسبب تقدمهم فيها أن اتساع قدر حاتمهم ورغبتهم في الاسفار الخطيرة لاقتراض الحج عليهم أنجت لهم المعرفة بكثير من البلدان الشاسعة التي لم يصل اليها اهل أوربا ونسوها بعد ما كانت معروفة لهم ومن مشاهيرهم في هذا الفن ابو الغداء والماسعودي

والادريسي وهذا الاخير هو الذي استدعا زوجير ملك صقلية وألف
عنده كتابه الغريب الذي سماه نزهة المشتاق وأما علم التاريخ فحق
تأليفهم فيه تاريخ المماليك وادى القلاء المذكورين وتاريخ المقرئ
غير انها توارى بحجة مئة بأبناء جنسهم وقل أن يوجد بها الكريهات
بمعنى انهم لا يسبرون منقولاتهم بمسار العقل كما أشار الى ذلك ابن
خلدون ولا يخرجون من دائرة الوقائع المجردة ولا يسبب لذلك الا ما حكاه
(سديو) في تاريخه الا في ذكره من أن وجود التسلط من الملوك
في بلدان المشرق هو الذي كان يمنع المؤرخين من شرح جميع الوقائع
بيان أسبابها للخطوط الذي يلحقهم في حكاية الحق وأما صناعة
(الارثمكتور) أي هندسة البناء في اصطلاح الهياكل فلم يستغل
العرب منها الا ما يرجع الى اتقان الانبياء حيث كانت شريعتهم تمنع
التصوير على ان البناء نفسه لم تظهر اهرام فيه اختراعات غريبة فالاصل
عندهم في الاقواس المرفوعة على الاسطوانات أن تكون أكبر من نصف
دائرة وهذا الشكل أخذوه من أبنية البرقيين وهم أمته من الدولان
واعراض العرب عن الصور الذهبية والمجسدة التزيين بالنقش المعنى
عندهم بنقش حديدية وكان في الاصل رسوما لها مدلولات ثم صار مجرد
خطوط متقاطعة شبيهة بالحروف العربية التي يمكن ان يصور منها اشكال
جيدة ظريفة وكثيرا ما تنجب من اتقان تلك الحروف حين نراها على
الزراية والاقشة المشرقة ومن ما تراه العرب اصطلاح الجواني والفوارات
والتزويق بالذهب والأجوار الثمينة كالمرآة التي كانوا يجلونها من المشرق
ومن مقاطع اسبانيا الجنوية ومن أشهر ابنيتهم الجامع العظيم الذي بناه
عبد الرحمن الاول بقرطبة وكان به ألف وثلاث وتسعون اسطوانة وأربعة

آلاف وسبع مائة قنديل ثم قصر الزهراء الذي لا يتأخر عن الجامع المذكور
 في العظم وقد بناه عيسى بن الحسن الثالث على شاطئ الوادي الكبير وبه
 ينبوع عظيم يعور منه شبيه باقة من الزئبق ثم ينعكس في قصة من الممر
 ومن بديع أدينتهم حراء غرناطة التي هي في آن واحد قصر وحصن وبها
 هذه امور تصلح ان تكون مثالا لللطافة البناء وحسنه خصوصا وسطها
 المعنى بيطحاء الاسود (وأما) التجارة فقد كان للعرب حسن رغبة فيها
 في سائر الاوقات ثم لما امتدت سلطنتهم من اليربني وهي جبال بين
 فرنسا واسبانيا الى جبال هملای التي بأقصى شمال الهند صاروا اكبر
 تحار الارض (وأما) العلاحه فلا يعلم لهم تغير فيها اذ ليس لغيرهم
 ما لهم من الاقتدار على جلب المياه وتوزيعها بلطف في مزارعهم الواسعة
 تحت شمسهم المحرقة فسيرتهم في ذلك السائر بها الى الآن أهل بلنسية
 وروضة اسبانيا صالحة ان يجعلها أسوة يقتدى بها في فلاحتنا القروية
 وأما الصناعات فان العرب تعلموا جميعها لما دخلوا بلدان الرومانين
 العظيمة حتى صاروا من أحذق أربابها وكفاههم شهرة في ذلك سلاح
 طليعة التي كانت تحت سلطانهم باسبانيا وحيروا بيات غرناطة والجوخ
 الأزرق والاضر بمدينة (كونسة) والسروج والمجروج والمجود
 بقرطبة وكان أهل أوربا يشترى هذه المهمات بأعلى ثمن ويتنافسون
 فيها مع شدة نفرتهم من أهلها المخالفين لديانتهم وبالجملة فقد بلغت اسبانيا
 من العمران الى هذه الشهرة في القرون الاولى من مدة الخلفاء حيث كانت
 الفتن عنها أسكن من المشرق وقد تزايدت سكانها الى أن صار بمدينة
 قرطبة وحدها نحو مائتي ألف دار وستة مائة جامع وخمسين مائة وثلاثين
 مكتبا عمومية وتعمامة حمام ومليون نفس فهالك برامح اجاليه اللثمن

الذي نشره العرب من شاطئ تاج وهو واد كبير باسبانيا الى وادي هندوش بالهند ثم تاكاد يخطف نوره الابصار ولكنه سرعة نموه كان معرضا للعطب قال وتعدن أور باليوم كان أبطأ في النمو ولكنهم حصلوا بعد انقلابات وكسوفات على ما يمكن به طول البقاء المعتاد في كل بطي النمو وقال في بيان امتداد ملك العرب قدامته ملكهم في ظرف مائة سنة من ظهور الاسلام مثل ما يمتد عظيم الخلفه فاقصدا راعيه لالتقاط شيء قبيل من اقصى الهند الى جبال بير بني الكائنة بين فرنسا واسبانيا وقد امتداد هذا الملك من سبع عشرة الى ثمان عشرة مائة فرسخ ولم يبلغ هذا المبلغ دولة من الدول الماضية وقد استمرت الديانة والاسان واحكام القرآن نافذة في غالب البلدان التي فتحوها واعتنبت منهم أور باقي القرون المتوسطة مكتشفات وصنائع وعلوم وان كان منها ما اخذوه من غيرهم لكن لهم الفضل في تهذيب ذلك وتخليده بعدهم ثم في النصف الثاني من القرن العاشر المسيحي توجه الراهب الفرنساوي جويير الذي جلس على الكرسي البابوي باسم سلفستر الثاني الى مسلي اسبانيا وقرأ هناك علم الجبر والفلك واجري لاهل اور بالنصرانية متفلا جديدا من معارف العرب وجمع عرافة جليلية من السكتب وصنع كرفي السماء والارض اه ما يمكن تلخيصه من كلام الوزير المشار اليه وفي تاريخ العرب لسدايو مدرس علوم التاريخ باحدى مدارس فرنسا واحد اعضاء جمعية المعارف بهما معناه اني منذ مدة طويلة تليف على العشرين سنة مشغول ببيان عرايا العرب على غيرهم من الامم فيما يتعلق بالعلوم والتقدم في التمدن مدة قرون متطاولة من ايام اليونان بالاسكندرية الى ايام العصر الجديدي لزمني ان اجمع ما تيسر لي من الادلة على عظم هذه الامة التي لم يوصف

قد رما الى الآن واعرضه على ما غيرى عن تكلم عليها قديماً من تاريخها
 لها ومما وان كان ذلك مما لا تفي به طاقه انسان واحد وقيل النهروان
 في ذلك على وجه الاختصاص بل زعموا ان ائمة الناس الى التأمل في احوال
 هذا الجنس الذي كان كثير الفتوحات عديم الاستيلاء عليه في سائر
 معازيه ولم يزل مدة اربعة آلاف سنة على حال واحد في اكتساب
 الفضائل والمزايا التي تميز بها على غيره والتراتب والعداوات الخاصة
 به ومن جميع ذلك ان الوقت الذي كانت فيه الممالك القديمة في مبدأ
 تكونها اذا كانت حرة كان هذا الجنس اذ ذلك قائماً بنفسه قادراً على
 الاغارة على غيره فقد كانت ملوك مصر وبابل من ذلك الجنس مدة تسعة
 عشر قرناً قبل التاريخ المسيحي ثم بعد ان رجع الى حدوده الاصلية دافع
 من نفسه سلطة الفراعنة وملوك الشام وامتنع من تسلط قبرص واسكندرية
 ودام في استقلاله ضد الرومان الذين كانوا ملوكها الذين ابعد طهره
 (النبي صلى الله عليه وسلم) الذي جمع قبائل العرب امة واحدة بقصد
 مقصداً واحداً ظهرت للعبان امة كبيرة مدت جناح ملكها من نهر طاج
 في اسبانيا الى نهر (الفاتيح) في الهند ورفعت على منابر الاشادة اعلام
 التمدن في اقطار الارض ايام كانت اوربا عظيمة يجهل انما لها في القرون
 المتوسطة فكانها نسيت بالمرة ما كان عندها من التمدن الروماني
 واليوناني وبعد انقسام ممالك الاسلام لم تعطل العلوم والآداب التي
 تفتحت على ايديهم فان خلفاء بغداد وقربطية ودمشق وان ضعفت قوتهم
 الملكية والسياسية فان سلطنتهم الرومانية لم تزل قوية مطاعة في كل جهة
 لاجتماعهم في توسيع دوائرها بقدر ما قوتهم وقدرت النصراني الذين
 استطاعوا انواج العرب من اسبانيا بالخطاطة معهم في المحر وب معارفهم

وصناعاتهم

وصناعاتهم واختراعاتهم ثم للغل والترك الذين تساطوا على آسيا
وتداولوها كانوا خدعة في العلوم لن تغلبوا عليه من فرق العرب والى
الآن لم نطلع في أوروبا على الاصول التي تبين لنا عادات العرب اصطلاحا
تماما اذ لم يعرف عندنا من توار يخفهم الا توار يخ ابى الفداء وابى الغزج
والمقر برى وابى الاثير ونسب هذه من تاريخ ابن خلدون ونجدها بالمرّة
توار يخ كثيرة تؤدّو لوجدهم بترجها النساوان كان المقدار الذي حصل
عندنا كافيا في رد غلط من غلط من اهل أوروبا في شأن العرب ثم اني
ذكرت في تاريخنا هذا ما يملق بقصوحات الخلفاء الاولين وبتاريخ دولة
بنى امية بدمشق وقرطبة وبتاريخ دولة بنى العباس ببلاد المغرب
بصرى وبانقسام الممالك الاسلامية بالشرق بعد تسلط الترك والغل عليهم
فبينت جميع ذلك بقدر العاقبة وزدت عليه شيئا لم يوجد في التواريخ
الصائفة وهو برنامج التمدن العربى الذى قد توشعت عروقه في الدنيا
القديمة واستمرت آثاره ظاهرة الى الآن لكل من يبحث بالمجد عن اصل
المعارف منا وفي اوائل القرن الثامن من تاريخنا تبذل ولوعهم
بالمتمرحات بالمجد في المعارف والعلوم فكانت اذ ذاك قرطبة ومصر
ومطلة وفاس والرقه واصبهان ومصر قد تتسابق في ميدان العلوم مع
بغداد فتحت بنى العباس وترجعت في تلك المدة كتب اليونان وقرئت
بالمدارس وشرحت ومرت حركات عقولهم في جميع مواد المعارف
الانسانية فنتج عنها من الاختراعات الغربية ما شاع صيته في أوروبا فبين
بلاشكال ان العرب هم اساس تيدنا بلا انكار لكونهم جمعوا الادوات
المؤسسة على توار يخها المتوسطة وبدؤوا بكتابة الرحلات واختراعوا

التأليف في تاريخ وفيات الاعيان ووصاوا في صناعة اليد الى غاية
الاتحاد وبقية آثار ابيتهم مما يدل على اتساع معارفهم وكذلك اخترعوا طائفة
الغريبة تزيد على الفضايلهم التي لم ينزلوا الى الآن منزلتهم التي يستحقونها
بسببها فان علوم الفيزيك والطب والتاريخ الطبيعي والكيمياء والفلاحة
لما جاءت في ايديهم ازداد فيها الغريب مع كونها من المحسوسات التي
لا تصرف لها من مهم صرفا تاما فكيف بالعلوم العقلية التي اجتهدوا فيها
اجتهادا يفوق المحققين مبدأ القرن التاسع الى انتهاء القرن الخامس عشر
ثم نقول ما نسبة ما عرفناه الا ان منهم يهتدون الى ما بقي مجهولا لنا من ذلك
وبالجملة والعرب هم منبع معارفنا ولم نزل الى الآن نطلع على اشياء من
مخترعاتهم التي كانت منسوبة لغيرهم كما قرأنا كتبهم ثم قال في شأن
التمدن العربي انهم كانوا في القرون المتوسطة مختصين بالعلوم من بين
سائر الامم وانقضت بسببهم مصائب البربرية التي امتدت على اوروبا حين
اختل نظامها بفتوحات المتوحشين ورجعوا الى العنصر عن ينابيع
العلوم القديمة ولم يكن لهم الاحتفاظ على كنوزها التي عثروا عليها بل
اجتهدوا في توسيع دواثرها وفتحوا طرقا جديدة لتأمل العقول في عجائبها
ثم استشهد بقول اسكندر هم يظن ان العرب خلقهم الله ليكونوا واسطة
بين الامم المنتشرة من شواطئ نهر الفرات الى الوادي الكبير باجمانيا
وبين العلوم واسباب التمدن فتنسولتها تلك الامم على ايديهم لان لهم
بمقتضى طبيعتهم حركة تنفضهم في الدنيا تائيرا لا يشبه بغيره فكانوا
في طبيعتهم محالين ابني اسرائيل الذين لا يطيقون تحاطة احد من الناس
ففيما اطروا غيرهم من غير ان يحتلطوا به ولا يتبدل طبعهم بكثرة الخلطة

ولا يقدرون اصلهم الذي خرجوا منه وما أخذت أم المانيا في القسطن
 الابعدمية طويلة من فتوحاتهم بخلاف العرب فانهم كانوا يحملون النجدين
 معهم فيشملوا حلوا حل معهم فيشتمون في الناس دينهم وعلومهم وانفسهم
 الشريفة وتهذيباتهم واشعارهم الشهيرة التي هي اساس بني عليه
 المنسفر والتر بدور اشعارهم ثم قال بعد ذلك ونعود الآن فنقول انه
 ثبت عندنا بما صنفه العرب واحترعوه رجعا من قولهم الغريب في ذلك
 الوقت الذي وصل صيته الى اوربا الصراية وهذا جهة على انهم كما قال
 غيرنا ونحن نعرف به اساتيدنا معلونا انتهى المقصود منه
 ثم ان الدولة الاسلامية أخذت في التراجع لما انقسمت الى دول ثلاث
 الدولة العباسية ببغداد والمشرق ودولة الفاطمية بمصر واخر بيقية
 ودولة الامويين بالاندلس ثم تكاثرت الحروب الداخلية وانقسمت
 تلك الدول خصوصا الاندلسية فانها صارت ملوك طوائف وتحقق فيهم
 قول القائل

أغاب سلطنة في غير موضعها * كالهر يحكي انتفاخا خادولة الاسد
 وموجب ذلك التفرق تعارض الأغراض والشهوات من الامراء والوزار
 الذين لم يعتبروا ما في الانقسام من المضار على الجميع حتى نشأ عن ذلك
 خروج الاندلس من يد الاسلام

وقع من الخال في بقية الممالك ما تفاقم ضرره لولا ان ثلاثي الامر بتأييد
 لله سلاطين آل عثمان الكرام فجاءوا غالب الممالك الاسلامية تحت
 طاعة سلطنتهم العادلة التي تأسست سنة ستمائة وتسع وتسعين من الهجرة
 لنبوية فتراجع للامة عزها بحسن تديرهم واحترامهم للشريعة المصونة

محفظ حقوق الرعية وبفتوحاتهم الجليسة المذكورة لفتوحات الخلقاء
الراشدين وارتقايتهم في علم القمدن خصوصاً في مدة السلطان سليمان ابن
السلطان سليم في أوائل المائة العاشرة حيث يادرأقطع الذرائع التي توقع
بسيما وقوع الخلل في الممالك بمارتبه من قانونه النافع الذي استعان فيه
بالعلماء العاملين وعقلاء رجال دولته وجعل مداره على اناطة تدبير الملك
بعهدة العلماء والوزراء وتمكينهم من تعقب الامراء والساطين ان حادوا
وذلك ان ملك الاسلام مؤسس على الشرع الذي من اصوله المشار اليها
سابقاً وجوب المشورة وتغيير المنكر والعلماء اعرف الناس به كما ان
الوزراء اعرف بالسياسة ومقتضيات الاحوال فاذا اطلع العلماء
والوزراء على شئ يخالف الشرع والقانون المخادم اها فاعلوا ما تقتضيه
الديانة من تغيير المنكر بالقول أو لافان افاد حمل المقصود والاخبروا
اعيان المجتدين وعظماهم لم ينفع وبين في القانون المذكور ما يؤل اليه الامر
لذا هم السلطان على ان يفسد مراده وان خالف المصلحة وهو انه يخلع
ويولي غيره من البيت الملكي واخذ على ذلك العهد والمواثيق من العلماء
وجال الدولة واستمر العمل على ذلك فكانت منزلة العلماء والوزراء
بالدولة بمقتضى هذا القانون في الاحتساب على سيرة السلاطين كمنزلة
وكلاء العامة في اوربا الا في بيانهم بل هي اعظم باعتبار ان الوازع
الذي يولى الداعي الى الاحتساب متأيد بالوازع الديني عندنا فبهذا
القانون المشار اليه استديم نجاح الدولة وحسن سيرتها

ثم انها اخافت في التأخر والنقص لما قصر في اجراء المصالح الملكية على
مقتضى الشرع والقوانين السياسية وعدمت النضري في انتخاب ارباب
المخاطم المعبرة فتصرف بعضهم بحسب الفوائد الشخصية لا باعتبار

مصلحة الدولة والرعية الى أن دخل في حسكر الانكشارية من افسد حمن
نظامهم واخلخل طاعتهم حتى تداعروا فيما ليس لهم من احوال الملك
وحبروا راحة السكان بظلمهم المتنوع بعد أن كان يضرب المثل بطاعتهم
كما يضرب بشيخايتهم في ميادين الحرب فنشأ من مجموع هاته الامور
وأمثالها الاضطراب في المملكة واغتمت ولاية الممالك البعيدة الفرصة
في الامتناع من الانقياد لاهل الدولة واطلقوا اعنة الاغرام والنشوات
والنجا الكثر من اهل الدقة الى الاحتماء بالاجانب لان الانسان اذا
انقطع أمه من حماية شريعة الوطن لنفسه وعرضه وماله بهل عليه
الاحتماء بمن يراه قادرا على حمايته وور بما يسعى في الاسباب التي يملكها
تسلط حاميه على المملكة خصوصا لم يكن بينه وبين الدولة اتحاد
في الجنس والديانة وبمثل هاته الاضال الناشئة عن تصرف الولا بدون قيد
شرعي اوسياسي تيسر للاجانب التدخل في احوال المملكة وافساد
سياساتها يناسب اغراضهم حتى نشأت حروب اهلية في عدة جهات
من المملكة دامت مدة طويلة واغنت نفوسا واموالا كثيرة وتسبب عنها
خروج ممالك معتبرة من يد الدولة وقمع من الخلل في باقيها ما عظم ضرره
لولا تدرك المرحوم السلطان محمود وولديه المرحوم السلطان عبد المجيد
والمؤيد السلطان عبد العزيز دام عزه بتعويض الاول عما كر
الانكشارية بالعسكر النظامي وقطع دابر امراء الايلات المسموعة عندهم
بالداري فانه قطعت بذلك المظالم الناشئة من ذينك العريقين وضبط الثاني
للسياسات الشرعية بالتدخل في الحريات التي هي أساس تصرفات الدولة
في الحال باعانة من رجال الدولة وعلمائها العلماء بسنة العوامات من
وخمس وخمسين ثم باجتهاد الثالث أيده الله في تمهيتها وتوجيهها واضافة

ما يظهر لياقته بالاحوال بمقتضى تجربتها كالقانون الذى رتبته أخيرا
 فى ادارة مصالح الايلات الذى يؤتمن منه مصالح جهة وقد كانت العامة
 فى مبدأ الامر أسكرت تلك التنظيمات انكارا كبيرا حتى ظهر فى بعض
 جهات المملكة مبادئ الاضطراب وسبب ذلك ان عمال تلك الجهات
 وغيرهم عن له فائدة فى تصرف بلا قيد ولا انقياد لم يتقنوا ان اجراء
 الادارة والاسكام دلى مقتضى التنظيمات مما يحل بفوائدهم الشخصية
 دعوا للعامة من قول الزور والغش ما ينفعهم منها مثل قولهم هذا شرع
 جديد مخالف للشرعية الاسلام واعانهم على ذلك من كان له من الدول
 الاورباوية فائدة فى عدم مجاح سعى الدولة فى تحسين احوال عساكرها
 فالدولة العلية عوض ان تعتم تلك الفرصة وترجع الى استبدادها كما
 وقع فى بعض الممالك اكذبت تلك الظنون الفاعلة بارسال فخر علماء
 ذلك العصر واتقاهم اعنى شيخ الاسلام المقدس عارفا بان الجهات
 الاضطراب لوعظ الناس واعرهم بالطاعة والامثال نخطب بذلك على
 المتأبرو بين للناس ان تلك التنظيمات ليست خارجة عن المنهج الشرعى
 وماهى الاضبط للسياسات الشرعية التى كانت ادمجت وان الداعى اليها
 ليس بالتحسين ادارة المملكة وحفظ حقوق الامة فى النفس والعرض
 والمال وكف الايدى المجاورة من الولاة وضوذلك من المصالح فانقادت
 الرعية عند ذلك وسكنت واستقر العمل بالتنظيمات وسائر الجهات بقدر
 الامكان وانت غير بان مثل هذا الخبر الذى سائر بمآثره الركب
 وشهد له بالعلم والعمل جهابذة ارباب العرفان خصوصا فخر الفطر
 الافريقى وفخر الرشاد الحقيقى من بلغ صوت صيته مع سائر النواحي
 الاستاذ العلامة سيدى ابراهيم الربا حى لولم ير مما خالفه هذه التنظيمات

فما عطف بها على المنابر ولا كان على تقريرها حزم مثابر ومن ثألتها بين
 الانصاف لم يجد في حسناتها ولياقتها ما رخلاف بل جزم بأنها اقوام الاستقامة
 والوسيلة التي يستعاديها ما كان للدولة من العز والفتخامة وهذا الصنع
 المجمل الذي صدر من هؤلاء السلاطين العظام مع ما حصل به من تحسين
 حال الدولة والرعايا بما لا يسع المنصف انكاره بالنسبة لما كان قبل
 لم يقتنع حزبا من المسلمين مع الرعايا من غيرهم بل لم يزالوا يطلبون من الدولة
 اطلاق الحرية بقتضى قوانين يكون تأسيسها وحمايتها من مجلس مركب
 من أعضاء تنتخبهم الامالى وفي هذه المدة الاخيرة اشتد المحاحهم في طلب
 ذلك سيما ان ضمنته ضعف الاخبار ونحن وان لم نطلع على احوال ادارة
 المملكة العثمانية في الحال لا سيجلف كيفية اجراء تلك التنظيمات
 اطلاقا يمكننا من معرفة حقيقة الاسباب التي يتقلم منها العريق المذكور
 او عدم صحتها فانما نعلم ان هذا المطلب الذي طالبه هو من اعظم الوسائل
 في حفظ نظام الدولة وقوه شوكتها ونمو عمران ممالكها ورفاهية
 رعاياها خصرصا في هذه الازمان كما نعلم ايضا ان مقصد المسلمين من اهل
 الحزب المذكور بغايتهم لاذكر انما هو اصلاح حال الدولة والرياسة
 لكن انما اسألهم هل ثبت عندهم ان مقصد غيرهم من معهم موافق
 لمقصدهم حتى تحصل لهم الثقة بهم ويصدر منهم ما ذكرنا نرى خلاف ذلك
 منهم عادات عليه الفرق من ان مراد اكثرهم انما هو التمسك عن سلطة
 الدولة العثمانية حيث لم يظهر منهم بعد نيل الحرية الموجودة الا ان
 شئ من امارات النصيح للسدولة بل ربما اظهروا حسب النزوع الى بني
 جنسهم بالتعلم من تصرفاتها واستشارة عبادى الحسيرة معها وذلك لاستقرار
 افساد الاجنبي لهم وزرع بذرا الحمية في صدورهم لا غرض لهم لا تخفى

فمر بما كان تأسيس الحرية على الوجه المطلوب آتفا قبل التبصر
في العوائق مما يسهل عرضهم المذكور اذ من لوازم هذه الحرية تساوى
الرعايا في سائر الحقوق السياسية التي منها المخطط السامية مع ان من
الشروط المعتبرة في اعطائها تلك الحرية قواطع جميع الرعايا على مصلحة
المملكة وتقوية شوكة دولتها ولا قل من هذا السبب امتنع بعض الدول
الاورباوية من اطلاق الحرية المشار اليها كما سافر تحزب بعض الرعايا
على تبديل العائلة الملكية كما سيأتي بيانه عند الكلام على حرية اوريا
فاذا ساغ الامتناع مع كون البديل المتوقع من جنس المبدل منه فلان
يسوغ هنا مع كونه من غير الجنس احرى وأولى وايضا فان رعايا الدولة
ينقسمون الى عدة اجناس مختلفة الاديان واللغات والمعادن وعاجلهم
يجعل اللغة التركية التي هي لغة الدولة بل يجعلون لغة بعضهم بحيث تعسر
المفاوضة بينهم لوركب مجلس من جميع طوائفهم ولا يتيسر اعطاء الحرية
لبعض دون البعض لما نشأ عن ذلك من الهرج فيجب أن تعبر حالة
هؤلاء الرعايا من اعظم العوائق عن تأسيس الحرية على الوجه المطلوب
بالدولة العثمانية فن اعتبر ما أشرنا اليه لا يسوغ له ان يوجه اللوم على
الدولة في توقفها الى الآن عن اعطاء الحرية المطلقة وتأسيس المجلس
المذكور وان كان ما ذكرناه لا يرفع عنها وجوب الاجتهاد في قطع تلك
العوائق التي يكون حسمها بعون الله تعالى من ما نرجو ان يعبر الذي
رفع من اعلام العدل ما انتكس واحيا من رسوم الاستقامة ما اندرس فاما
باعتقادي ما حوله الله من الحزم الساجج والراي لراجع فؤقل أن ترى منه
لا سيما بعد اطلاعه على احوال اوريا بالعيان وتطبيقها على ما كان معلوما
لديه بالبيان من يد العناية بكل ما يتيسر به اطلاق الحرية على الوجه

الاكمل باعانا فوجال دولته وعلماؤها المتعاضدين على انتباح مصالح الدين
والوطن والعارفين بأسباب التقدم مظهر منها وما بطن

ثم ان من عوائق نجاح التنظيمات في سائر الممالك الاسلامية تكاثر
الدول الاورباوية عن ادخال رعاياهم المستوطنين بها تحت احكامها
استنادا للشروط القديمة التي لا تليق بهذا الوقت بل لا ينبغي أن
تسعى شروط الانبثاق الى ما يتصل بالشروط وعلى فرض تسليم بعض
الشروط وتسلم ما يوجب دوامها فانهم لا يقفون عند نصها بل
يستخرجون منها ما ليس فيها مما هو منافع محقوق المساواة بين الامم
ومحقوق سلطنة الارض على كل وارد لها بمعنى ان من دخل مملكة من
الممالك فلا بد أن يخبرى عليه احكامها وادعاء بأن معارف حكام الاسلام
خير كافيصة لحفظ حقوق رعاياهم وان كراهيتهم للتضامى تحملهم
على الخيف عليهم والجواب عن الدعوى الاولى ان مدعيها لا يمكن أن
يظن به تعميمها في حكام المسلمين مطلقا أعنى سواء كانوا احكام شريعة
أو سياسة لما هو معلوم عند كل عاقل خصوصا من هو منصف ان علماء
شريعة الاسلام في غاية المعرفة بأحكامها أصولا وفروعا فلم يبق الا أن
يريد هذا المدعى حكام السياسة منهم وهذا غير مسلم لما هو ظاهر من
بطلان دعوى من يدعى جهل جميع أهل مملكة من الممالك بحيث لا يوجد
بها من يقوم باعباء احكام تنظيماتها نعم هناك شيء واحد وهو ان جميع
الامور في ابتدائها قبل القرن عليها والاعتياديها يقع فيها نوع اضطراب
وارتباك حتى يحصل الاستئناس بها وتأخذ مأخذها وهذا امر طبيعي
لا يقدح به في التنظيمات فان ترى دول أوروبا لم تسكن من أول الامر حالة

على هذا النجاس في تنظيها لها المشاهدة اليوم وانما حصلت على ذلك
بواسطة طائفة السكان لها على احوالها بعد المخالفة والتفاني اذ بدون
ذلك لا يطعم في الحصول على شيء من نتائجها بل لنزل نرى الى الآن
تفاوت الدول المذكورة في تهذيب نظمها وادبها وحواسنها وعقائدها
ولم يمنع هذا التفاوت دخول المتقدم منهم فيما تحت احكام المتأخر فلم يبق
حينئذ الا ان نقول ان هذه الدعوى مجرد وهم وليست مستندة الى
شي من الادلة والتجارب لانه لم يدخل احد من دعاياهم تحت احكام
تنظيماتها حتى يلحقه الضرر منها بل لنا ان نقول انها مجرد مكابرة
واما دعوى الكراهية فلا يخفى انها بعد تسليمها مشتركة بالالزام اذ
للمسلمين ان يظنوا ان النصارى ايضا تحملهم العداوة على الحيف
عليهم وقت ملوهم ببلدانهم لكن الحق ان العداوة الدينية لا تشمل
الحاكم عن الانصاف المؤسسة عليه الشريعة وعن الوقوف مع الحق
حيث يجب حتى لو وجب على الحاكم نفسه لانه فطالبه منه كائننا من
كان عملا بما هو من قواعد الدين الذي هو اعظم وازع حتى لم يبق معه
لا يثار النفس اثر فقد ورد ان زبدين سمعته جاء قبل اسلامه يتقاضى من
النبي صلى الله عليه وسلم ديناله بخذبه من رداءه حتى اثر في طائفة الشريف
ثم قال انكم يا بني عبد المطلب قوم مظل فانهزم وشد عليه في القول
حيث لم يتوخ الرفق في الطلب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا وهو ~~ص~~ كما اخرج الى غير هذا منك يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره
بحسن التقاضى ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وأمر عمر ان يقضيه ماله
ويزيده عشرين صاعا لما رآه فمكان سبب اسلامه رضى الله عنه
وورد ايضا ان يهوديا اتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطلب مليا

كردم الله وجهه في حق وكان على عنده فقال له عمر قم يا أبا الحسن واجلس
مع محمد بن فرى في وجهه على الغضب فلما انفصلت النازلة قال له عمر
ما معناه أغضب لطالب ان تساوى معك فقال له على ما غضبت لذلك
وانما كرهت تكثرتك لي بمحض رخصي فالحاكم اذا كانت ديارته
تلزمه الاتباع للشرعية بقتضى الوازع الديني والاقتداء بمن سلف من
المعلماء الراشدين الذين هم نجوم الاهتداء كيف يتوهم منه ترجيح جانب
المسلم على غيره وبعد هذا المبدأ لمن له انصاف من الاورباوين ان لا يرى
قيما دكرناه ضمانا كافية لمحض الحقوق كما انه لا يتأتى له ان يرى
امكان اجراء القوانين على وجه يثمر النتائج المقصودة منها مع امتناع بعض
السكان من المساواة فيها لاسباب والممتنع بيده طالع الصناعات والمتاجر
ثم انهم لم يكتفوا في التعطيل بذلك الامتناع حتى صار بعضهم يصر
بعض الممالك الاسلامية من قبول التنظيمات التي رام ملوكها تأسيسها
بأن يلقوا لهم ار هذه التنظيمات لا تليق بحاكمكم فوجوهكم الى
ما كنتم عليه اولى بكم مع ان ذلك مخالف لقواعد سياسة بلدانهم وبعضهم
يقول لهم ان الحرية التي محتسوها من دولتكم لا تفي بحقوقكم
مع انها في الواقع اكثر مما محتسوها من دولتكم فلذلك نصطر ان نعتقد
ان لا داعي لذلك الا قصد دوام التخيير في الممالك الاسلامية لتعطيل
نجاحها وبالمجمل سياسة الدول الاورباوية في ممالكنا متناقضة
فان منهم من ينصح بعض الممالك بالاعانة على الترتيب المناسبة ومنهم من
يعطل ذلك بتلك المملكة ويبدل الصيغة المذكورة لغيرها على حسب
اختلاف اغراضهم

هذا وان سياسة غالب الدول الاورباوية ولو كانت كما ذكرنا لكن من الحق أن نقول في خصوص بحث الشروط اننا رأينا عند المهادنة مع رجال بعض الدول الغربية منها أنهم يسألون عدم لياقة تلك الشروط بمبدأ الوقت ولا يمتنعون من قبولها بما يناسب لكنهم يطلبون منا قبل ذلك اعطاء الضمانة الكافية في حفظ حقوق رعاياهم بترتيب مجالس المحكم وتمشيها مدة الزمان حتى تثبت عندهم بالتجارب حسن اجراء الاحكام بحيث يقبل رعاياهم تسليم رعاياهم على التدريع بحسب ما عروته من نجاح الترابيب حتى يتم دخولهم تحت احكامنا ونحن نقول لما كان بقاء حال الاجانب على ما هو مشاهد اليوم مضرا بالممالك الاسلامية والدول الاورباوية لاتساعف على تبديل الشروط الابداء ذكرناه وجب على الدول الاسلامية المعنى في ازالة هذا الضرر باعطاء تلك الضمانة وابرارها للخارج ومن العوائق للتنظيمات وهو اعطائها تعرض بعض المتوظفين في تأسيسها واجرائها لمالهم في تعطيلها من المصالح المخصوصة التي منها دوام تصرفاتهم في الخطط بالقيود والاحتساب هذا وان الامة الاسلامية لما كانت مقيدة في افعالها الدينية والدينية بالشرع السماوي والمحدود الالهية الواردة على الميزان الإعدل المتكاملة بمصالح الدارين وكانت ثمة مصالح تهم الحاجة اليها بل تنزل منزلة الضرورة يحصل بها استقامة امورهم وانظام شؤونهم لا يشهد لها من الشرع أصل خاص كالا يشهد بردها بل أصول الشريعة تمتضيها اجلا وتلاحظها بعين الاعتبار فالجورى على مقتضيات مصالح الامة والعمل بها حتى تحسن احوالهم ويبرزون قصب السمى في مضمار التهم متوقف على الاجتماع وانظام طائفة من الامة ملتزمة من جملة الشرعية

ورجال

ورجال عارفين بالسياسات ومصالح الأمة متبصرين في الاحوال والداخلية
والخارجية ومناشئ الضرر والنفع يتعاون مجموع هؤلاء على نفع الأمة
بحسب مصالحها ودر معاسدها بحيث يكون الجميع كالشخص الواحد
كما قال عليه الصلاة والسلام المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه
بعضا وكما قال صلى الله عليه وسلم المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى
منه عضو تداعى له سائر الجسد فحال السياسة يدور ككون المصالح
ومناشئ الضرر والعلماء بطبقة من العمل بمقتضاها على اصول الشريعة
وانت اذا احطت بخبر ايعا قريانه علمت ان مخالطة العلماء لرجال السياسة
بقصد التعاضد على المقصد المذكور من اهم الواجبات شرعا وعموم
المصلحة وشدة مدخلية الخلطة المذكورة في اطلاع العلماء على المحوادث
التي تتوقف ادارة الشريعة على معرفتها ومعلوم ان ما لا يتم الواجب
الا به فهو واجب وبيان ذلك ان ادارة احكام الشريعة كما تتوقف
على العلم بالنصوص تتوقف على معرفة الاحوال التي تعتبر في تنزيل تلك
النصوص فالعالم اذا اختار العزلة والبعيد عن ارباب السياسة فقد شد
عن نفسه ابواب معرفة الاحوال اشار اليها وفتح ابواب الجور للولاة لانهم
اذا استعانوا به فامتنع صاروا يتصرفون بلا قيد نعم يعاب على العالم شرعا
وعقلا التمسك في الدين والتجمل في النصوص الظاهرة في خلاف
ما اراد منها وارة كتاب الا قول الضعيف ليوافق الاهوية والاغراض
لا لاجل مصالح تنزل منزلة الحاجة والضرورة حتى يتقلب ذلك الضعيف
قوبا وحيث كانت ادارة المصالح السياسية مسالا يتيسر لغالب الولاة
ايعاؤها على الاصول الشرعية لاسباب شتى يطول شرحها وتقدمت الادلة
على ما يقر ب على ابقاء تصرفاتهم بلا قيد من المضار الفادحة رأينا ان

العلماء الهداة جديرون بالمصر في سياسة أوطانهم واعتبار الحال الواقع في أحوالها الداخلية والخارجية وأمانة أرباب السياسة بترتيب تظلمات منسوجة في منوال الشريعة معتبرين فيما من المصالح أحفها ومن المضار لازمة أخفها ملاحظين فيما يبنونه على الأصول الشرعية أو يلحقونه بفروعها المربعة ذلك المقال الواجب المنسوب لعمر بن عبد العزيز بن محمد، للناس أفضية بحسب ما أحدثوه من العجز وما في معناه من أدلة ان الشريعة لا تمنعها تقلبات الدهور ومن تصفح رسالة استاد المشايخ المحفية ومخط وحال الاستقنة بالديار التونسية من لم يزل على نقوله وأفهامه المعلوم الشيخ سيدي محمد يريم الأول وجدها من الأدلة ما يشهد لما ذكرناه فإنه عرف السياسة الشرعية بأنها ما يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد ولم يضعه الرسول ولا نزل به الوحي ثم أشار إلى ذم ما كان من التصرفات السياسية في أحد طرفي التفریط والافراط بقوله ان من قطع النظر عنها لا يماقل فقراضيع الحقوقي وعطل المحدود وان اهل الفساد ومن توسع فيها فقد خرج عن قانون الشرع إلى انواع من الظلم ثم قال ونقبل ابن قيم الجوزية عن ابن عقيل مخاطباً لم قال لاسياسة الا ما وافق الشرع ان اردت بقولك الاما وافق الشرع أي لم يخالف ما نطق به الشرع فصح وان اردت لاسياسة الاما نطق به الشرع فعلط وتعليل للعصبية رضي الله عنهم وسرد امثلة من سياساتهم ولا بن قيم الجوزية هنا كلام حاصله ان امارات العدل اذا ظهرت بأي طريق كان فهناك شرع الله ودينه والله تعالى أحكم من أن يخص طرق العدل بشئ ثم ينفي ما هو اظهر منه وأبين وسئل القرافي عن الأحكام المرتبة على العوائد اتغيرت تلك العوائد هل تتغير

(٤٥)

الاحكام لتغيرها او يقال نحن مقلدون وليس لنا احداث شرع جديد
لعدم اهليتنا للاجتهاد فأجاب بأن اجراء الاحكام التي مدر كها العوائد
مع تغير تلك العوائد بخلاف الاجماع وجهالة في الدين بل المحكم التابع
للعادة يتغير بتغيرها وليس هذا بتجديد اجتهاد من المقلدين بل هي قاعدة
اجتهاد منها العلماء وأجمعوا عليها انتهى وعذاب النعيم من الجهل والغلط
الفاحش توهم ان الشريعة المطهرة قاصرة عن سياسة الامة ومصالحها
قال ولاجل هذا الغلط تجرأ الولاة على مخالفة الشرع فخرجوا عن
حدود الله الى انواع من الظلم والبدع في السياسة يعني وسبب ذلك تمسكهم
أوتسك العلماء الذين يعتنقونهم بظواهر النصوص فيضيقون ما وسعه
الله عليهم فيضطرون الى خلع القيود وهتك الحرمات والمحدود وبناء
على ما نقرر يظهر ان اللاتقي بأولئك الهداة ان يتوسطوا بين التفریط
والافراط بحيث لا يبعدون من رجال السياسة بعدا يتسبب عنه تبعيد
تصرف الولاة عن الشريعة وما لا يدرك كله لا يترك كله ولا يقربون منهم
قربا ينشأ عنه تفریب شهواتهم بتسهيل طرقها لهم

وحيث تقدم بيان الأدلة السكاكية لوجوب التنظيمات السياسية التي
لولا يمكن الاتغير الاجنبى والمتوظفين منها لكان كافيا في الدلالة على
حسنها ولياقتها بمصالح المملكة كان من أهم الواجبات على أمراء الاسلام
وزرائهم وعلماء الشريعة الاتحاد في ترتيب تنظيمات مؤسسة على
دعائم العدل والمشورة كافلة بهتذیب الرعايا وتمكين أحوالهم على وجه
يزرع حب الوطن في صدورهم ويعترفهم بمقدار المصالح العائدة على
مقدراتهم وجهودهم غير معتبرين بمقال بعض الجساذفين ان تلك

التنظيمات لا تناسب حال الأمة الإسلامية مستنداً في ذلك إلى أربع شبه
الاولى ان الشريعة منافية لها الثانية انها من وضع النبي في غير محله
لعدم قابلية الأمة للتدانيات الثالثة انها تعضى غالباً إلى اضاعة الحق وق
بما تقتضيه من التطويل في فصل النوازل كما يشاهد ذلك في سائر الخطوط
القانونية الرابعة انها تستدعي مزيد الضرائب على المملكة بما تستلزمه
من كثرة الوظائف لادارتها المتنوعة

ولا يخفى على المتبصر ان جميع ما استند اليه مردود أما الشبهة الاولى
فيكون في ردّها ما أسلفناه مما يدل على ان الشريعة تقتضي التنظيمات
لا سيما بعد اعتبار احوال رلاة الوقت وعلى فرض ان يوجد في التنظيمات
بعد تأسيسها وتهديبها من رجال العلم والسياسة شيء لا مسوغ له فلا يلزم
من تمديده ولا يكون توقعه سبباً في ترك تأسيس التنظيمات من أصله
وأما بقية الشبه فلو أردنا الاكتفاء في ردّها بما تقدم لكني ايضا لكن
وأيتا أن تزيده ايضا حاولا بما فنقول أما الشبهة الثانية فجوابها ان عامة
غيرنا الذين بلغوا بالتنظيمات غاية التمدن كانوا في مبدأ الامر أسوأ حالا
من عامتنا وان كنا نعلم ان معارفنا الحديثة الآن أقل مما اقتضيه
التنظيمات لبعض الامم الا و بآية لك عند التأمل يشب عندنا ان
الأمة الإسلامية بمقتضى ما شهد به المنصفون من رجحان عقول أرواس
حائتها على عقول غيرها من الامم تقتدر ان تكتسب بما بقي لها من تقدمها
الاصلي وبعادتها التي لم تنزل مأثورة لها من اسلافها ما يستقيم به حالهم
ويتسع به في التمدن مجالها ويكون سيرها في ذلك المجال أسرع من غيره
كما نعلم ان كان اذا اذ كيت سريتها الكامنة بتنظيمات مضبوط
تسهل لها التدبخل في أمور السياسة وذلك ان الحرية والهجرة الانسانية

الذين هم منشأ كل صنع غريب غريزان في أهل الاسلام مستمدان
 مما تكسبه شرعهم من فنون التهذيب بخلاف غيرهم عن لم تحصل
 لهم الغريزان المذكورتان الا بحراء التنظيمات في بلادهم نعم من
 الواجب على مؤسس اصول الحرية السياسية اعتبار حال السكان ومقدار
 تقدّمهم في المعارف ليعلم بذلك متى دعوغ اعطاء الحرية التامة ومتى لا يسوغ
 ومتى يعهم المقدم او المعطى في سائر السكان ومتى يخص عن قامت به شروط
 معتبرة ثم توسيع دائرتها بحسب مقتضيات القدر شيئا فشيئا ثم لو سلم
 عدم القابلية للتنظيمات وان الامة كجائز عجمه او انك القادحون
 بمثابة الصبي غير الرشيد الذي يلزم التقديم عليه فهل ينقض لهم دليل
 على جواز ان تكون تصرفات المقدم خالية عن مراعاة مصلحة المقدم
 عليه وهل تيسر تلك المراعاة بدون توقع احتساب مؤسس على
 الشرع واما الشبهة الثالثة فواجب ان التطويل الذي يمكن مر وضه
 في فصل النوازل لير جمع الى قسمين لانه اما ان يكون ناشئا عن صعوبة
 تصور النازلة وتعيين ما ينطبق عليها من النصوص المتجاذبة لها
 او يكون ناشئا عن قصور المتوظفين او نقص خبرهم اما القسم الاول فلا
 يتشكى منه الا الجاهل او المتجاهل وذلك ان اعطاء النوازل لحقها من
 التأمل حتى يتضح عند المحاكم وجه الحكم يستدعي فسخة ضرورية
 لفهمه على الوجه المطلوب وذلك الفسخة المتفاوتة بتفاوت النوازل
 في الشعب من لوازم البشرية في حق كل من المحاكم والمحكوم عليه
 في الحكم سواء كان مبني على القواعد الشرعية او الفوانين العقلية
 يكون حكما متداه الا اذا كان مسبوقا بأخذ المحكوم عليه مهلة لتحرير
 حجة التي يدافع بها عن نفسه وأخذ المحاكم مثلها لانه ان النظر فيها

ونعين ما ينطبق من الاصول عليها فالمحاكم اذا انقضت من احدى الماهيتين
 شيئا فقد ظلم المحكوم عليه ونفسه وحيث كان التطويل المشار اليه طبيعيا
 للتنازل وبما نعارض على لزومه الشرح والعقل يسوغ لنا أن نقول
 انه لا منشا للفساد في التنظيمات الا ارادة تنفير الاهالي منها بتحصين
 ما تعودوه من حكاهم السياسة الذين كثيرا ما ينشر لديهم من النوازل
 ما لو نشر لدى احدق القضاة لاحتاج في تصوره الى عدة أيام فيادرون
 الى فصلا في عدة دقائق بحكم لا يتعقب بل لو فرض الترخيص منهم
 في تعقبه لما أمكن ذلك حيث لم يكن المحكم مسجلا لظهير لان التعقب
 يستدعي استناد المحكم المتعقب الى شيء من الأدلة يحكم اطلاق المتعقب
 عليه بحيث يجد محالا للخطئة في تنزيل المحكم أو فهو ذلك اذا كان المحكم
 مسجلا وما يصدر من هؤلاء حكم شفاهي غير معلل باستناده الى شيء
 في الخارج فهو لا يحلوا اما أن يكون أمرا انفاقيا بحسب ما يسنخ لاحد هم
 في ذلك الوقت ولذلك ترى كثيرا من النوازل متفقة في المعنى وأحكامها
 مختلفة أو مستندة الى دليل لا يتجاوز صدور ذلك المحاكم فلا يمكن الاطلاع
 عليه وفي المحالين لا يمكن التعقب ثم اما لا تنكر أن يقع في ابتداء العمل
 والتنظيمات شيء من التطويل زائد على المقدار الطبيعي ناشئ عن عدد
 التعمود بها والتحرر عليها لكن نرى الخطب في ذلك سهلا لانهم ايزوا
 ما عانة الله في أقرب وقت عند حصول ملكة التعريب وتخفيف أعمال
 المحاكم في الاحكام الخفيفة ارتكابا لا خوف الضررين وتحرير الدوا
 سائر وتوفى السياسة على المبادرة باعتماد ما أمرتهم بحسب المدعى عليه
 ونحو ذلك مما تتوقف عليه الاحكام حتى لا يبقى من أسباب التطويل
 الا ما يستدعيه حال النازلة على انا نقول نسا لا مع هؤلاء المنقر:

ان القرض من التنظيمات ليس محصورا في فصل التوازل الشخصية على وجه الانصاف انما اول منها بل هناك مصالح أخرى من أهمها ضبط كليات الساعات في لادى الولاية من الجود فأين مرة التطويل في التوازل الجزئية من منعة اطلاق ايدى أولئك الولاية في التصرف في ابدان والاعراض والاموال فهذه الشبهة على فرض نهوضه الانتج الاتعابيل بحال التوازل الشخصية اما ضبط اصول الصياغة الذي هو أساس خبر انما مكة فلا تظن دليلا ينهض على تعطيله بوجه من الوجوه وأما القسم الثاني فظاهر انه لا يقدح به في حسن التنظيمات في نفسها وانما يتوجه التشكي من مضرته الى الدول حيث لم تمنح النظر في احوال الموظفين وعتقهم من زبد المراقبة والتجربة

ويبان ذلك ان ترى الموظفين في المملكة الاثلاث اسلاميه على ثلاث فرق الفرقه الاولى يستعملون ترتيب التنظيمات استحصانا مصادقا ويؤثرون ما تنفعه من الهمة والحريه وتوفر مصالحي الرعية على ما عسى أن يتكسبه بالاستعداد من المنح الخصوصية الفرقه الثانية يجهلون مصالح التنظيمات بحيث لا يرون كغير فرق بينها وبين السيرة الاستبدادية بل يحدونها من بدع آخر الزمان ويؤثرون عليها البقاء على ما كان ولا مثله لذلك الا القصور وعدم الاطلاع على نتائج التنظيمات في غالب المعمور الفرقه الثالثة لا يجهلون مصالح التنظيمات وتوفرها مخبر البلاد والدولة ولا يمكنهم يؤثرون على ذلك فوائدهم الشخصية التي توفر لهم بالاستعداد ولا نشأ لذلك الانقراض الديانة والهسته الانسانية وعدم ملائمة العواقب الدنيوية والاخر وية اذ تمهد هذا فنقول ان التنظيمات وان بلغت بعض الترتيب والتهديب غاية لمطابقة لمقتضى

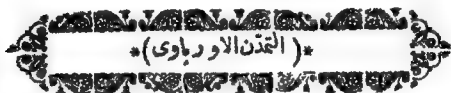
الحال لا تظهر فأنشأ المقصودة من تأسيسها الا اذا كان المتكلفون
 باجرائها من الفرقة الاولى فيهم الذين توكل مصالح العباد الى امانتهم ويعتقد
 في تأسيسها وتأسيسها على اطاعتهم وأما الفرقة ان الاخيرة ان فلا يحصل من
 تكليفهم الا خلاف المقصود لاسيما الفرقة الثالثة لمزيد انبعث
 همها الى تعطيل التنظيمات وعلى الدولة التي عازمت على تأسيسها اذا
 هلت ما ذكره من احوال الفرقتين المذكورتين أن لا تنيط بأمانتهما
 حفظها ولا ادارتها حتى يثبت عندها ما يتجارب صدق وجوع الاولى الى
 استقامتها بالقلب والقال وانشاء الاخيرة المصالح العمومية على المحفوظ
 الشخصية واكتسابها المروءة الانسانية المساعة من قبول الانسان
 خطة لا يباشرها بصدق نيته وبالحيلة فانه اذا انتهى الى عهدة مفتي زواله
 من أقوى موجبات اختلاله واصحلاله وأما الشبهة الرابعة وهي
 اقتضاء التنظيمات لمزيد الضرائب على المملكة في وانها ان هذا القائل
 المسكين لو علم ما ينشأ عن حالة الاستبداد وحالة التقيد بالتنظيمات لما
 صدمت منه هذه القولة الوهمية المبنية على عكس القضية فان حالة
 الاستبداد هي التي تقضي كثرة الضرائب اذ يؤخذ فيها اللازم وغير
 اللازم ليصرف فيما هو في الغالب غير لازم بخلاف حالة التقيد فانها يضبط
 الدخل وصرته في خصوص الامور اللازمة لا تكلف فيها أهل المملكة
 الا بضررائب تسعها نفوسهم حيث يرون زووها وصرتها في مصالح وطنهم
 فاذا قاما لما يلزم صرفه على اجراء التنظيمات بما ينقص بهامن المساريف
 والمخلف غير اللازمة التي لم تكن محدودة قبل التنظيمات بعدد ولا ضابط
 معاير تقع بهامن المظالم التي لا تقرب دونها عند حد لم يبق للنصف شك
 في أن التنظيمات على فرض كثرة خطتها من أقوى أسباب الازدهار
 والتوفير

التوفير لاسيما والمباشر. ولا يستخلص الجسبي بتقيد دون بالقوانين
يضافشتم بين حالة المستبد الذي يأخذ ويعطى بمقتضى الشهوة
الاختيار وحالة التقيد بالقوانين الذي يفعل ما ذكر بمقتضاها متوقعا
لنقشب آراء كثيرة ينجمل من تنز يلها اياه منزلة القاصر في تصرفه فضلا
عن الخشائن فيه فبان بهذا ان المصاريف البالغة التي تكاف المصلحة
مالاطاعة لها به اغنا تكون حالة الاستبداد وان الاقتصاد الذي هو منشأ
خيرها اغنا يحصل بضبط سائر التصرفات بقيود التنظيمات وفي هذا
المقدار كفاية لمن تبصر في الفرق بين الحالتين ولو اطلقنا عنوان القلم
في بيان حال بعض الدول في مصاريها وفي سيرة المباشرين لها قبل
تأسيس التنظيمات ومما هو بعدها حين تيسر تعطيلها لاهل الاغراض
والشهوات من ارباب المخطط ورجعوا للتعرف بلا قيد ولا احتساب
بايعة امثال هذا القادح لتبين لمان قلة معرفته بتأثير التنظيمات هي
التي غرته واخرته على القدرح فيها يمثل ما اسلفناه وعلى اعانه الساعين
في تعطيلها القوائدهم الخصوصية المضره بالدولة والمصلحة اسكن سجة
بجمال الكلام في ذلك نخرجنا عن المقصود * هذا واذا كانت الدولة
العثمانية التي هي مركز الخلاف الاسلامي مع الاشراف اليه سابقا من
العوائق الخاصة به لم تنزل بمجتهدة في رفع تلك العوائق اجتهد ابرجى منه
تمام نجاحها بتأسيس ما ينتم به خسر مما لكها وحة ط حقوق رعاياها
فغيرها اخرى وأولى لا تهمل تلك العوائق عنها فلا يظن رالو كهاسب قوى
في الامتناع الاحب الاستبداد الموصل للشهوات ثم نقول كما كان ترتيب
التنظيمات واجبا على من تقدم بعراعات حال الوقت فن الاثنى أيضا
عن يدعى من الدول الاورباوية المتمثلة بحسب الخبير لتنوع الانساني

ان يعينوا في هذا الشأن ولو بالكشف عن التعطيل خصوصاً من له
فائدة في دوام استئلال الامة الاسلامية هذا ما دعت الحاجة الى تحريره من
اسباب التقدم والتأخر لامة الاسلام من المصاحل من الكتب الاسلامية
والافرنجية. وبه يعلم من لا خبر له بأحوال الاسلام من الاوربا وبين
وغيرهم ما كان لامة من التقدم في المرف وغيرها وتعود الشريعة
في أحوالها ودخول الولاة صحت ودها وان الشريعة لا تافى تأسيس
التظيمات السياسية المقوية لاسباب التقدم وعز العمران كما يفتده
الكثير من ذكرنا حتى صاروا يدورون ذلك في مصف أخبارهم
ومستفاداتنا ليعلموا مبدأ لذلك يمكن اعتناهم به من مريان ذلك
لا متناهم الاما يشاهدونه في ممالئ الاسلام من اختلال الشرفات
والاحكام وما ناسأعنه من سوء حال الرعا ومذا ونحوه من مضار تقصير
الاعراف في حماه الشريعة واستبدادهم بالتصرف بمقتضى شهواتهم مع
اغفال العلماء القيام بما أهلهم الله به من مراعاة عن مقتضيات أحوال
الوقت كما أشير اليه سابقاً ولا يفتقر الى البقاء على هذه الحالة مما يظلم
نظيره وتقتضي عواقبه معتم من بعض أعيان أوربا ما معناه ان التقدم
الاورباوى تدفق سيله في الارض فلا يعارضه شيء لاستهائه قوة تبارزه
المتابع فيضئى على الممالك المجاورة لا ورما من ذلك انه اذا حذوه
وجروا مجراه في التنظيمات الدينية فيمكن نجاحهم من العرق وهذا
القتيل المحزون للومان مما يصدقه العيان والتجربة فان المجاورة
لهامن التأثير بالطبع ما يشهد به أثر الخطاط الناشئة عن كثرة نتائج
الصناعات بحيث تجب لأحراجها والاتفاع بأنماها وهو سبب ثروتهم
كما تقدم ولتقتصر على هذا المقدار من الإشارة الى أسباب التقدم

.(٥٢).

والتأخر في الأتمة الإسلامية ونرجع الى ذكر أطوار التخذن الاورباوى
من أيام الامبراطور شارلمان الى هذا التاريخ على وجه اجمالى
يقدر به على الاحاطة بأنواع التخذن المكتسب بالمعارف ويستفد منه
من يريد معرفة الأشخاص الذين اشتهروا بكشف كنوز الطبيعة وأسرار
التهديب ورسم معالم السياسة



اعلم ان الامبراطور شارلمان الذى أسس دعائم السياسة والاحكام كان
أشهر ملك ظهر بأوربا ومن وقت سقوط الدولة الرومانية الى سقوط دولة
الاغريق التى كانت تحت مملكتها القسطنطينية العظمى وهو الذى أدخل
العلوم والاعمال الممثلة وكان يقضى غالب أوقاته في قراءة العلوم وكان
محبا محققا بالعلم، وأسس بيساريس مدرسة جامعة لاسائر المعارف
وعمل على إصلاحها ثم حصل له من الجمعية في أقطار الأرض ما استقال
المجلمة هارون الرشيد الى محبته وهاداته بتحف منها فالتزم تزل الى
الآن في أحد قصور فرنسا ثم بعد وفاة الامبراطور المذكور وفقدان
تديره تعطلت تلك المصالح وتنازات أوربا بقيت مغفورة في ديج
المجمل مدة ستماية سنة وفي هاته المدة كانت موطنا لأقدام البربرة الذين
كانت دولهم تتداول عليها ومع ذلك الفضل التام فان أهل الكنيسة منهم
صكافوا محافطين على كتب المعارف وعلى اللسانين الذين لولاهم
ما تنفع تلك الكتب وهما اليوناني واللاتيني فالناس ممنون لهم بذلك
ثم في القرن الحادى عشر الذى هو خامس قرون الهجرة النبوية ظهرت

مبادئ علوم وصناعات وهندسة في الايقسة فانشئت بها هيكل
في الناحية الغربية من أوروبا وأخذ علم الفلسفة في التحوير بين تحاورات
كلامية ومنازعات جدلية وظهر حزب الفرسان الذين اشتهروا باسم
الكهالير وهم جماعة من وجوه الناس قهالوا على أن يجادوا في الله
للدافعة من حوية النسوة والمستضعفين من سائر الالهالي وأن لا يلاحظوا
في أفهامهم لاسيما المحاربة الامة تضيات الشرف الانساني وعلوا الهمة
ولومع أعدى الاطادي مثلا يرجون من يسترحمهم ولا يجهزون على حريتهم
ولا يبرزون سلب قيتلهم ومن أواخر هذا القرن الى أواسط القرن الثالث
عشر كانت حروب الصليبيين مع المسلمين لافسكك بيت المقدس
وقطع استيلائهم على الامم في زعمهم وانما أشرف الالهاته المحر وب والفرسان
اميان مالهامس الدخيل في التمدن الاورباوي فان ورعيهم يقولون ان
تلك المحر وب وان هلكت فيها نفوس عديدة وأموال غزيرة بدون
الحصول على المقصود بالذات فانها أعقبت نتائج بافاعة لهم منها أنهم من
ذلك الوقت شرعوا في ترتيب العساكر وتعلموا بمواصلتهم لاهل المشرق
صناعة التجارة والزراعة ونحو ذلك وتخلقوا باخلاق الحضرة وتعودوا
بالاسفار لامتدكشاف أحوال الاقطار فاطلعوا على أحوال آسيا
المتوسطة وأحوال الصين كما ذلك مبين بتأليف ماركو بولو وبالمجالة
فبالسبب المذكور وهو مخالطة الاورباويين لالة الاسلاميه
المتقدمة عليهم في التمدن والحضارة فكان ابتداء التمدن عندهم
لا سيما في القرن الثالث عشر ثم تذهب حتى وصل الى ما هو مشاهد اليوم
وانتهت اذ ذاك رئاسة العلوم والآداب والفلسفة الى صان برنار

بفرنسا وسان توماس بإيطاليا والبرت الكبير بألمانيا وروموندو لولو
باسبانيا وجن دونسكوت بإنكلترة وظهرت الشعرة والمهندسون
والكائنات الاصولية والهيكل الفخيمة المذوبة للقرن المتوسطة
وفي القرن الرابع عشر نالت تلك الامور شرفها خصوصا في إيطاليا
فان دانتى حرر اللسان الطلياني وقرره في شبه اراجيز يقتل ذكرها
وجيوتو وشيمايوي احيا صناعة الدهن وبترا كاريكا وبكاشوس سلسكا
ماريكة دانتى في النظم والنسب في اواسط القرن الخامس عشر
وهو الكوة الذي لا ينسى لغرابية حوادثه اخترع غمبرغ من اهل
ميانس بألمانيا طبع الكتب الذي حصل به من تنمية مواد العلوم
وسرعة انتشارها في اقطار الارض ما يغني فيه العيان عن البيان
وأول ما طبع منها كتاب في اشعار اللغة اللاتينية التي عاد الى استعمالها
اهل إيطاليا وتكاثر بها اشعارهم بعد ان تناسوها وهي وان لم
تأخذهم أخذها في التوصل بها الى المعاني الدقيقة والاطائف السديعة
فقد رجعت الى ما كانت عليه من الطلاوة وحين السبك ثم أخذ المتدبن
في الترقى بمدارج العلوم والاهمال وكانت المزية في ذلك جماعة
الميدنى الذين كانوا رؤساء الدولة الجمهورية بفلورنسة ثم صاروا
أحرامها فهم الذين مهدوا سبيلها للناس وسكان اشتهارهم بذلك
في القرن السادس عشر المعبر عنه بالقرن الكبير الذي كانت
ايامه تضاهى بأولئك الرؤساء أيام اغسطس أول قياصرة الرومان
في الاشعار وحين هندسة البناء ويديع اشكاله اقتداء بالرومانين
الذين اقتدوا في ذلك باليونان ومن حوادث القرن الخامس عشر

ان جماعة المبدشى المشار اليهم والبابا ليون العاشر الذى هو منهم
 يمتدوا فى الخزان عن الكتب القديمة وطبعوها لاستكثارتها ونسخوها وجعلوا
 عليها تعليقات نافعة وملاحظات غريبة وبذلك ارتفع عن محاسن
 الاقدمين القناع الذى تكاتف بطاول السنين وفى تلك المدة
 ظهر الشاعران اريوستو وناسو اللذان اشتهرا اللسان اليونانى
 المستعمل الآن وهما فى الطبقة الاولى من مشاهير تلك اللغة فأولهما
 على ذكره باختراع معان لم يسبق اليها فى الفاظ مهذبة ومنعذبة والثانى
 نال شهرة أميرس الشاعر اليونانى وفرجيل الشاعر اللاتينى وبالمجلة
 فاللسان اليونانى أخذ فى ذلك الوقت مأخذه من السلامة وحسن
 السبك وألفت به تأليف جديدة فى فنون شتى ومن مشاهير
 القرن المذكور، كىافلى الذى كان أول من بين القواعد السياسية
 بعد سقوط الدولة الرومانية وغويشردى الذى باع بحجود الفسك
 وحسن التعبير الى اتقان التصنيف فى التاريخ وفرا باولو الذى
 اشتهر بالدفاع عن حرية الوطن بقلم غيور منصف فى ضد سياسة
 البابوات الدائرة رحاها على ايشار الشهوات وفى ذلك الوقت
 ظهر بمملكة اسبانيا التى كانت اكتسبت من المسلمين أنواعا من
 الظرف كالفرسية والاب بالراح وتعالى المعانى الفريضة من
 الاشعار الناظمين الجيدان لوبس ديفعا وكالدرون اللذان اظهرا
 من الترا كيب الشعرية ما حسن القاءه فى المجالس المعذبة لتهديب
 الاعلاق المعصاة عندهم بالتي اطرات كما ظهر فى ذلك الوقت عند الانكليز
 الناظم الشهير شكسبير وهو وان لم يجل كلامه عن المسفوات فله
 النفس

النفيس من جوهره ويتوصل بقصاحته الى الكشف عن كنهه
 ما يروم وصفه والاحاطة بكيفية شئته المحسوسة والمعنوية لاسيما في وصف
 المحرور وبمحيط ان سماع كلامه يكون كالمشاهدة لما يصغه وأما
 أهل شمال أو ريف لم يشتهروا في ذلك الوقت بشئ من اعمال الممكر
 غير أن منهم من لا تنكر ممتته على العرفان مثل كبرنيك من أهل بولونيا
 المولود سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة وألف وهو الذي حرّر القول بأن
 الشمس في مركز العالم وان الأرض والكواكب تدور حولها قبل
 وليس هو أول قائل بذلك وإنما الأول فيلولاوس أحد تلامذة
 فيثاغورس وذلك قبل وجود كبرنيك المذكور بألفي عام لكن وقع
 الانفصال على أن كبرنيك هو الذي ينبغي أن ينسب اليه مزية الابتكار
 لهذا القول وان انتفع في الاهتداء اليه بقول فيلولاوس المذكور
 ومن حرّر الدليل على تلك الدعوى بما يقرب من المشاهدة غيللاو
 الطلياني وأعانده على ذلك ما اخترعه مسيوس من أهل هولند من آلة البليور
 التي تكبر الأشياء فكانت مرآة تكبر الشئ مائة وستين مرة زيادة على
 مقدار جرمه ثم تذبذبت تلك الآلة حتى صارت تكبره من ألفين الى ثلاثة
 آلاف وأصغر ولم تنزل تلك الدعوى تترجم عند أهل أوربا الى أن
 صارت مسلمة لديهم وبواسطة تلك الآلة اطلع غيللاو المذكور على
 كواكب لم تكن معروفة وهو وتلميذته توريشلي أول من عرف
 وزن الهواء وان طلوع الماء في الطنينة مسبب عن ضغط الهواء
 لسطح الماء وان نهاية صعوده اثنان وثلاثون قدما حيث ان قوة صعود
 الهواء المنازل على سطح الماء لا تتجاوز المقدار المذكور فلا ينبغي

بها الماء الى أكثر من ذلك والحاصل ان اهل ايطاليا اغتنبوا في ذلك الوقت شهرة بالآداب والصناعات المستطرفة المعروفة عندهم بوزار وهي صناعة الدهن والنقش وهندسة البناء والموسيقى وحصلوا على ما أمكنهم تحصيله من العلوم والفلسفة وأما ألمانيا فقد اشتهر فيها تيجوربراهي وكوبلر فالاول أفنى عمره وماه في طلب العلم واقتناص شوارده حتى سعى بالمحسن الى العلم والثاني صرف المجهود الى علم الفلك حتى قيل له صاحب الاحكام وأما انكثرة قانتها صارت بقرب ذلك العهد ذات يد في العلوم الرياضية والمحكمة الكلامية وعن اشتهر فيها فرنسيس باكن ذو الفكر الوفا والمجد والاجتهاد وقد هتت تسمية تالغهم بحالة العلوم الجديدة واستغنى في دعاويه فيه الى التجارب المفرغة في قالب الاسلوب الفلسفي حتى قيل ان فن الطبيعيات صار بقواعد الكتاب المذكور كما ينبغي أن يكون وفي القرن السادس عشر امتاز اهل فرنسا بعلم الاحكام الاسفي بيانه واشتهر منهم بذلك عدد كثير مثل كوجاودوملان وميشال دوليتال الدين عمروا مكاتب الاحكام والماهر الفصيح فرنل المتسلط في علم الطب وامبر وازيري أعرف اهل وقته بأحوال الجراحات وفيات الذي اختصر كتب الجبر بوضع حروف نائبة عن الاعداد وصيره لعلم المساحة كالمنطق اسائر العلوم وبيار لسكو الذي هندس بناء اللوفر وفلياردلورم الذي هندس قصر مودون وقصر التويلوي والاول والثالث بياريس يسكن بهاملو كها والثاني بقربها ثم ان فرنسا وان بلغت في هذا الوقت ما بلغت من التمدن والتعذيب وفاقت أمة كثيرة من تقدمها الا انها لم تضاه نظائرها حيث لم يكن لاسانها في ذلك الوقت خالها

من الشواهد ومن مشاهيرها في تلك المدة أميو ومارو فالأول في الانشاء
والثاني في التنظيم تميزا بسلامة السليقة وقلة التعقيد ومنهم ربي شقن
صياغة مثالب الهجو ومونتان القيلسوف الذي سهل طرق المعاني
وأداهها بالقائظ راسقة وشرح ماهية الانسان غير محمول بعين الرضى
على تصنيفه ماثبه ولا بعين السخط على تقييد محاسنه وفي هذا القرن
اشتهر بإيطاليا بين أرباب الصناعات وفابل وميكلا نيج
وليوناردو داوينشى وأشخاص آخرون في صناعة الدهن والنقش
والبنياح فبهم وبلائمتهم تحدد البوزار في سائر فواحي أوروبا وفي
القرن السابع عشر بلغت العلوم الرياضية والادبية في أوروبا الى
الغاية القصوى وذلك بكثرة العلماء الذين غت بهم المعارف حتى صار
من كان يعد من مشاهير العلماء في القرون الماضية يعد من عاقتهم في هذا
القرن خصوصا أهل فرنسا الذين ترقوا في سائر المعارف وتقدموا من
عداهم من أهل أوروبا في الغصاحة نظما ونثرا وفي صنائه البوزار
المتقدم بيانها في مشاهير هذا القرن باسكال المشتهر بفن الحساب
والطبيعات والانشاء ألف كتابا سماه بماتر جنته مكاتب اهل
القرى وهو من أشهر ما ألف في الأرسال وتعرض فيه للقدس في سيرة
المنجز ويت حزب يعرف باليسوعية دأبهم جلب الناس بكل وجه
يمكن الى الديانة النصرانية والمداعة عن السياسة البابوية ومنهم دكارت
المعدود في الطبقة الاولى من مخترعى العلوم الرياضية باستعمال قواعد
المنجز في المساحة واتقان التصرف في علم الفلك وهو من أشهر العلماء
الذين هذبوا اخلاق البشر ثم يوردلو وماسليون اللذان أظهرا
غصاحة لم تكن لاحد قبلهما من خطباء دياتهم ثم يوسوى الذى بلغ

في حسن التأين وفي خطبته على التاريخ العام السائرة مسير المثل عند
 اهل اوربادرجة لم يبلغها احد بعده ثم بوالوا الذي بين قواعد الشعر
 عندهم ثم لا يروى بالعدد من السابقين في علم التهذيب ثم فنلون
 صاحب التأليف المشهور المنهني تلحائه الجامع لاسباب التهذيب
 البشري ثم كرفيل وراسين اللذان لا يقاسان في التراجيديا
 الا بمشاهير اليونان وهي محاكاة المحروب والوفائع والكوميديا وهي
 محاكاة أمور في قالب الهزل ثم مولير في الكوميديات ولا فونتين
 في الامثال تقدما من كان قبلهما وفي القرن المذكور ظهر بالمانيا
 الحكيم لينتس وكان له شهرة في علم التاريخ والطبيعات لاسيما
 الرياضيات والفلسفة فقد كان له فيها اليد الطولى وفي هذا القرن
 تميز علماء الانكليز عن غيرهم باتقان علم الهيئة والعلك فنههم هالي الذي
 شرح خواص الهواء وأسرار مذ البحر وجزه واسرار المغناطيس
 وحركات ذوات الاذئاب وارتكاب المساق والاختار في تطلب العلم
 من توازح الاقطار حتى بلغ جزيرة صانت الا في البحر المحيط ورسم
 على صفو رهان خريطة نجوم القسم الجنوبي من الهيئة وبذلك ارتفع شأن
 رصد غرينتش في انكلترة ثم المهيم فلانستيد الذي بين ملاحظات
 عديدة في علم العلك تلقاها الناس بالقبول ثم نيوتن المشتري اشتها را
 أنسى به ذكر سابقيه وله تأليف كبير أحمدت به في الفاسفة تغييرا
 غريبا وقع من الناس موقع الإعجاب وفي ذلك الوقت ظهر من شعراء
 الانكليز درايدن وبوب ومن كتبة الانشاء أدسون وفي القرن الثامن
 عشر حازت فرنسا خمسة أشخاص من مشاهير الكتبة بذلوا المجهود
 في ايضاح طرق الفلسفة وتشييد مبانيها وهم فونتيتيل الذي انصبحت

مكتابه فيها ثم يوفون مشفع افلاطون و بلين الذي كساعلم الفلسفة
 رقة التعبير في كتابه الذي حلد ذكره وأعرب عن رقة طبعه
 ودماثة اخلاقه ثم موتسكيو الذي صرف همه الى كتب السياسة
 وأبانت تصانيفه عن غاية معرفته بها وكفى شاهدا على ذلك ما كتبه
 في السبب الذي كبرت به الدولة الرومانية وتعاضمت والذي سقطت به
 وانقرضت وهو كتاب عجيب يحتوى على تعليقات صادقة وعبارات محررة
 راشقة وكتابه الآخر المسمى بحكمة القوانين الذي بين فيه الحقوق
 الانسانية وقسمها الى ثلاثة اقسام أولها الحقوق المعتبرة بين الامم
 في خلائقها السياسية والتجارية وثانيها حقوق الدول على رعاياها
 وبالعكس وثالثها حقوق الاهالى فيما بينهم ثم قسم حالة الدول الى
 ثلاثة اقسام ايضا الاول الدولة الوردانية خلفا عن سلف المظافة
 التصرف بالاقيسد الثانى الدولة الوراثية كذلك المقيسة بالقوانين
 الثالث الدولة الجمهورية المقيسة بالقوانين أيضا والجمهورية
 عندهم كناية عن انتخاب الامة رئيسا لدولتهم يتصرف في ادارتها بمقتضى
 القوانين مدة حياته أولادة معلومة ثم ينتخب غيره وبين ما ينشأ
 من الخير والشر عن الاحوال الثلاثة وهو معدود عند أهل أوربا
 قانونا صحيحا فى الاحكام ومن تمثيلاته البدعية تشبيه المستبد فى تصرفاته
 من يتوصل لاجتناء القوة بقطع الشجرة من أصلها وله فى غير ذلك
 تأليف عديدة تلقاها الناس بالقبول ورابعهم دليبر صاحب التأليف
 المسمى بقلائد القواعد المحاوى باوضح بيان ما كاد يأتى على سائر
 الفرائد وخامسهم كندلياك الذى بسط اشعة التحقيق على تأليف

لوك الانكليزي في علم الفلسفة ومن مشاهير القرن الثامن عشر
ولتر وهو من اخذ راية الكتابة باليمين والشمال واشتهر في سائر
قنوتها اشتهاو المدجال في الاجيال ولوليم جمله اغلال العقيسة على
عدم احترام الشرائع والديانات لكات شهرته اتم والنفع بمعارفه
اعم ومنهم جاتيك روصو وهو نظير ولتر في الشهرة وله من حسن
التعبير ما لا تستقر معه الاوهام وهذان الكاتبان المجددان هما
الاذان انشأورة اهل فرنسا سنة مع وثمانين وسبعمائة وألف
الموافقة اسنة مائتين وألف هجرية وهما اسبابها واستجلا وقوعها
ومنهم جان باتيست روصو صاحب الاشعار والمعاني الرائقة ومنهم
لوساج مؤلف جليلاس الكتاب المعنوى على المقامة الفلسفية الذي
هو من احسن ما ألف في بابه ومن مشاهير هذا القرن لناوس من
أهل السويد اشتهر في الطب يبيعات وفيه ظهر بالمانيا الشاعران
غوتي وشلر فالاول فاق اقرانه في محاسن الآداب والثاني استحق اسم
المجدد انما طرات الامان فانه ركب العايات معتبرة ينشد فيها مستظرفات
الاشعار وله تأليف في التاريخ شاهدة بتقدمه في ميدان الافكار
كما ظهر فيه بانكثرة المؤرخون الثلاثة الذين تشرف بهم وطنهم وهم
غيمون وهيوم وروبرتسون ثم ظهر بها أيضا آدم سميث الذي فاق
اقرانه في علم الرياضيات والاقتصاد السياسي والمعلم الطبيعى بانكس
وانجراحيان وليم هنتر واخوه جون وكاوندش الذي حلل اجزاء الماء
والفلسكون برادلي وهرشل وينجمن فرانكل الذي شغل اسمه
ببيان الامور المتعلقة بالمجاذيب المغناطيسية ومن مشاهير انكثرة
في القرن المذكور اركرايت الذي اخترع آلة غزل القطن

ثم نخرج عن صف العامة ثلاثة أشخاص استنبطوا لهذه الآلة ما أكسبها قوة غير محصورة وهم ديمطن وقلطن وجاس وات وهذا الأخير هو الذي اخترع السكيفة الجعينة في الارتفاع بالآلة البخارية التي اخترعها أولاً نيوكن كما ظهر به هذا القرن الخدماء الجعينة الهائلة على يد المهندس برادلي نتضاعفت طرق المواصلات بالكثرة وفقت الخيل العديدة في الأماكن التي كانت معطلة وبذلك نتجت نتائج الأيدي واتسعت دوائر مقبر الانكليز وثروتهم وارتفع شأن السباسة من النتائج كثرة استخراج معادن الأرض بسهولة المناولة والمواصلات وكذا جلب القطن والسكان وغيرهم اواصلتنا لآلة منوما في اسرع وقت كل ذلك بموته الآلات المذكورة وقد كبرت بلدانها الصغيرة لاتساع نطاق المتجر فيها حتى صارت من البلدان المتسيرة وهناك مثلاً جزئياً تعلم به التبدلات الخطيرة الواقعة في احوال المتجر وهو ان قيمة ما كان يخرج من سائر بلدان انكلترة من القطن المستوع لم تكن في أوائل القرن الثامن عشر تتجاوز خمسمائة ألف فرنك في السنة وفي اواسط هذا القرن بلغت قيمة ما يخرج من ذلك في السنة خمسمائة مائة وفرنك ولتسك عنان القلم هنا حيث بلغنا الى القرن التاسع عشر الذي صار فيه المشاهير بالعلوم والصناعات اكثر من ان يحصوا والمعاون فيما يز يدنوع البشر تصبنا اجل من ان يضبطوا ولم يزل الملوك يرغبون الناس في اسباب التمدن ويشغلونهم بالمجوائز وعلامات العناية وبوضع صور مشاهيرهم بمجامع العامة لتوفير دواعي البحث عما يمكن ان ينفع جنسهم ويخلد ذكرهم

(تلخيص المكتشفات والمخترعات)*

في أوائل القرن الرابع عشر استعمل اهل اوربا في سفنهم البوصلة
المنقولة عن العرب كما تقدم وكشف اهل البرتغال عدة جهات من شطوط
افريقية الغربية وأجاطوا بالجهة المجنوبة من راس الزعزعة المسمى
من ذلك الوقت برأس الرجاء الصالح ووجدوا بذلك طريق الهند
في البحر وأحدثوا فيها عدة مستعمرات وفي سنة ست وثلاثين واربع مائة
والف اخترع المطبع بالمايا وفي سنة ست وستين واربع مائة والف
وجدت فيريكه الحبر بمدينة ليون من فرنسا وفي سنة اثنين وتسعين
واربع مائة والف كشف كريستوف كولومب أميركا وفي القرن
الصابع عشر حدثت فيريكه القن بانسكترة وفرنسا وظهرت المراكب
التي تمكبر الاشياء المتقدمة ذكرها وظهرت البوصلة أي بيت المسكاتب
وتحرر ميزان الهواء بالوجه المتقدم وفي سنة ثمان واربعين وست مائة
والف ظهر استعمال الكينايا اوربا وفي سنة سبع وستين وست مائة
والف استعملت فيريكه نسج البسط الرفيع بباريس وفي سنة اربعين
وسبع مائة والف انشئت فيريكه الذكيران بانسكترة وفي سنة
اثنين وخمسين وسبع مائة والف اخترع فرنسكان جواذب الصاعقه
التي تجذب القوة الكهر بائيه من السحاب وتدخل بها في الارض وفي سنة
ستين وسبع مائة والف تأسس بباريس محل تعليم الصم البكم والعرجى
القراءة والكتابة والرياضات ثم اقتدى بذلك بغيره مما لك اوربا حتى
انه يومئذ اليوم بهما من الاماكن المخصوصة بتعليمهم نحو مائة وخمسين

وكيفية

وكيفية ذلك في الاصم الابكم ان يرود صور الحروف ويصطلحوا حصة
على تخلص كل حرف منها باشارة مخصوصة في الاصابع ثم يعضروا له
الشيء المراد تعريفه اياه ويكتبوا اسمه له على مقته في تلك الحروف
الاشادية فهذه الوساطة يصير قابلا للتعليم لتيسر الكلام معه بسهولة
وفي الاصحى يجعل حروف له ذات اجرام في ذلك يقبل تعلم القراءة والكتابة
واذا اريد تعليمه الجغرافيا ترسم له الخريطة ابرلهما بموسسة فيسهل
تعليمه اياها جدا حتى يصير بحيث متى طلب منه تعيين محل من الارض
او بلد من البلدان وضع يده عليه بدون مشقة وفي سنة ست وسبعين
وسبعمائة وألف اخترع الطبيب جونا الانكليزي من مدينة بركلي
كيفية تلقح الحمى وقد تنازع مؤرخو الانكليز والفرنسيين
وامير كافي اختراع الآلة البخارية فكل يدعي ذلك لاهل ملكته
والذي حرره اراغو الفلكي الفرنسي هو ان الماكيني هيرون
الاسكندراني فكر في قوة البخار والمنافع التي يمكن تحصيلها به
وكان ذلك قبل الميلاد المسيحي بمائة وعشرين سنة لكن بقي هذا الرأي
عقبا عدة قرون ثم في سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وألف من الميلاد
المذكور كتب بلاسكودي غراي الاسبنيولي الاصول التي يمكن
حصولها من تلك القوة وفكر في استعمالها وكتب مثل ذلك سلون
دوكوس الفرنسي في سنة خمس عشرة وستمائة وألف ثم في سنة
ثلاث وستين وستمائة وألف استعمل هذا الشأن ورشتر الانكليزي
الان ما انتجته ففكرته لم يكن كافيا في حصول الانتفاع بتلك القوة
ثم في سنة تسعين وستمائة وألف فكر في شأنها المهندس ديتس باين

الفرنساوى الى أن ركب في سنة خمس وتسعين وسبعمائة وألف الآلة البخارية باستون وهو شئ يشبه مدق المكحلة وهو أول من ظهر له جعل القوة القابلة للبسط في الآلة بارية حيث أن البخار ينشط عند شدة الحرارة ويقدم عند البرودة ثم اعتنى بذلك الماكينجى الانكليزى جامس وات المتقدم المذكور الذى ظهرت أعماله في النصف الثانى من القرن الثامن عشر بوجه العناية الى هذه المسألة ثمرة وبهتة عرساثر أجزاء الآلة البخارية حتى ارتقى في ذلك درجة تليها منصب الاختراع لها وقد كان دنيس يارين المذكور وأشار الى ما كان السعريها في البحر وبين كيفية ذلك بغاية الايضاح وفي سنة ست وثلاثين وسبعمائة وألف أخذ جوتان هلس الانكليزى السراح من الدولة في استعمال الآلة المذكورة بسفينة لكن لم تتم له الموجبات فكانت جدوى فعله قليلة وفي سنة خمس وسبعين وسبعمائة وألف صنع الماكينجى بريا فرنساوى السفينة الاولى البخارية وبعد ثلاث سنين اخترع جوقروى فرنساوى الآلة المذكورة والقاهها على وادى دوب بفرنسا وفي سنة احدى وثلاثين وسبعمائة وألف اتى على وادى صون بفرنسا ايضا سفينة كبيرة من ذلك النوع وسارت ثم استعمل بالمائرة المشار اليها جماعة في انكلترة فنجح سعيهم فيها وهم ميلر في سنة احدى وتسعين وسبعمائة وألف ثم لورد ستنبوب في سنة خمس وتسعين وسبعمائة وألف ثم سينغطن سنة احدى وثلاثين وسبعمائة وألف وفي السنة الثالثة من القرن التاسع عشر جرب الامير كافي فلوطن بباريس حملته بتلك الآلة ف رأى مخايل النجاح وكان معه من أهل وطنه ليونسطن فوضعا على وادى سون أول فابور تام بالمجلات وذلك في تاسع أغشت

من السنة المذكورة لكن لم يتفق انجاز المائدة المذكورة بفرنسا
لعدم اعتناء الدولة بها في ذلك الوقت فلما آيس فلطن من نجاح سفينه
هناك حمل مخترعه الى وطنه أميركا وأشهره بها ويقول اهل فرنسا ان
من سوء البحث عدم انجذاب بال الدولة في ذلك الوقت لهذه النتيجة
الباهرة وفي السنة السادسة من القرن المذكور سافرت السفينة
البخارية المسماة كلرمونت من نيويورك الى فيلادلفيا في الممالك
المتحدة بأميركا وفي سنة اربع عشرة وثمانمائة وألف شرع المذكور
في اصطناع الفرقاطة البخارية الاولى فبات قبل اتمامها وفي حياته صنع
بتلك المملكة عدة فابورات صغاورتها المسمى فلطن الذي التقى بالسفينة
الحاملة لنا بوليون الاول الى جزيرة صانتالان التي بقي فيها بعد
سقوطه فلما رأى العابور المذكور وذهب دخانه شائل في الجو وندم
على اعراضه عن تلك المائدة التي تم ظهورها في غير بلاده وجميع
التحريات البخارية مستنبطة من قواعد فاطر المذكور لانه كان
مهندسا حاذقا لبيبا ثم اتقن هذا المخرج بسائر جهات أوروبا على
التعاقب شأ فشا وأما استعمال آلة الذنب المسماة آليس بدلا
من العجلات فأقول من فكر فيها دوكي الفرنسي سنة سبع
وشرين وسبعمائه والف وبوكتون سنة ثمان وستين وسبعمائه
والف وفي سنة ثلاث وثمانمائة والف اختصار دلرى الرخصه
في عمل الآلة المذكورة الا ان سعيه اذ ذاك لم ينجح لعدم وجود
المبالغ اللازمة من المال فاغتم التفريغ لهذا العمل المهندس
اريكسون الشهير من اهل السويد في الممالك المتحدة بأميركا من
سنة ست وثلاثين وثمانمائة والف الى سنة اربع واربعين وثمانمائة

والف الى أن تم واستعمل في سنة خمس وأربعين وثمانمائة والف
وقد شاع العمل به الآن وفي سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة والف
ارتفع في الهواء بالبالون مونغولي القرنساوي والبالون قبسه من
الحريير مصنوعة بكيفية لا ينفذ بها من مساها الغاز الذي هو الطنف
من الهواء فتتلا القبه بتلك المادة فتصعد في المحو لصبر وريتها انحف
من الهواء وفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة والف اخترع ولنا الجيل
الذي يستعمل للتدوير ولله غراف السكر باثني وفي سنة احدى
وثمانمائة والف اخترع جكار الحائك آلة النسيج التي تصنع بدون
واسطة اليد وهذه الآلة أو رئت تبدل اكبرا في أمر النسيج وارتفع
بها شأن فر يكات ليون بقرانحه التي تصنع الاقمشة الحريرية
وغيرها ولذلك رفع اهلها صورة المخترع المذكور ببطحاء المدينة اظهارة
اصنونيته له وفي سنة ست عشرة وثمانمائة والف طهر بلكة مدة حادث
اسرلج الغز كما ظهر بها في السنة المذكورة الستة وعشرا في وهي
كيفية تسهيل استيعاب الكتب جميع ما ينطق به اللسان المر يبع
باصطلاح مخصوص والواضع لها ارمني من اهل سكوتد لاند وفي سنة
تسع وعشرين وثمانمائة والف طهرت اول كروسة فاقه فخرى على
طريق من الحديد وهي من مخترعات المهندس ستيفنسون
الانكليزي واخترع ويتصطون الانكليزي أيضا الكيفية
المستعملة في التلفراف المذكور واخترع نيبس وداغير الفوتغرافي
أي ارتسام الصورة بواسطة المرآة وبقياء ما لهذه الصناعة فوائد جمة
في الطبيعات والفلك

وكان تقدم أهل أوربا في ميدان التمدن الذي من نتائجه
 الاختراعات المشار إليها انما كان يتم بطرق العلوم والفنون
 وتسهيل اسباب استحصاها وكان للمملكة الفرنساوية مزيد شهرة
 بحسن التنظيم في اموار التعلم والتعليم رأينا ان تبين تراثها الناجمة
 ليقاس عليها بقية الممالك لاقتداء بعضهم ببعض في مثل ذلك فنقول
 اعلم ان طبقات المتعلمين عندهم ثلاث لان المتعلم امامية دى او متوسط
 او منته وانقسام الفنون على هذه الطبقات باعتبار سهولة الفن
 وصعوبته فالفنون الالهية مثل علم الاخلاق واصول الديانة والقراءة
 والكتابة والمفردات اللغوية واصول الحساب والوزن والكيل
 واصول التاريخ والجغرافيا ومبادئ سر الطبيعة والاستدلال
 بالموجودات الارضية ومبادئ الزراعة والصناعات وقانون حفظ
 الصحة واصول المساحة ورسم الارض والتصوير الخطي والاحمان
 وكيف تقوية الاعصاب بالحركات الرياضية فهذه الفنون الالهية
 تدرس في المكاتب العمومية المقامة من الدولة او الولاية او البلدة
 او القرية وفي المكاتب المعلقة ومحال الترجمة المقامة من خصوص
 اشخاص من الناس وجعيات من المحسنين واما فنون الطبقة المتوسطة
 التي يتقن اليها بعد تحصيل ما يجب تحصيله من المعارف الالهية فهي
 علم اللغات القديمة والحديثة وعلم البيان والمنطق والفلسفة والعلوم
 الرياضية والطبيعية والتاريخ وجميع هذه العلوم تدرس في مكاتب
 الدولة ومكاتب لاهل البلدان واما كن خصوصية ومحال صغيرة
 لتعليم الرهبان واما الطبقة المتربة فتنهم من يتعلم بالمكاتب العالية
 ومنهم من يحضر مجامع مدرسي العلوم والانشاء الذين يميزون الطلبة

بعد امتحانهم بمحضرتهم والمجامع المشار اليها مستقلة بدراسة العلم
الالهى واحكام النوازل وصداقة الانشاء ونحو ذلك وتتنوع المجامع
خمس اصناف احدها يحتوى على ثمانية مجامع وظيفتها تعليم العلم
الالهى ستة منها على مقتضى العقيدة السكاوليكية واثنان على مقتضى
العقيدة البروتستانتية ومن شعب هذا العلم عندهم فروض الديانة
وعلم الاخلاق ونظام الكيمياء والكتاب الموصوف عندهم بالمقدس
واللسان العبرانى والصنف الثانى يحتوى على تسعة مجامع وظيفتها
تدريس علم النوازل المنقسم عندهم الى القواعد العامة واهلية واحكام
الرومان والقانون المدنى واحكام المجنات واعمال الجالس وقياس
العقوبات باحكام البلدان والقانون المتجرى واحكام الادارة العمومية
واحكام مايقع بين الامم والاحكام الفرنسية والصنف الثالث
يحتوى على ثلاثة مجامع وظيفتها دراسة علم الطب المتناول للتشريح
وتركيب الحيوان وتاريخ الطبيعة المتعلق بالطب وقانون الصحة
ومعرفة الاعراض الظاهرية والباطنية وكيفية المعالجة ومواد
الادوية وعلاج الجراحات واحوال الولادة وهناك مكاتب كبار لتعليم
كيفية تركيب الادوية ومكاتب اخرى للاستعداد لتعامل فن
الطب والصنف الرابع يحتوى على مجامع وظيفتها دراسة علوم مختلفة
كعلم الهيئة والفلك وعلم الجبر والمساحة وعلم المسكنك اى التصرف
بالايمان كبحر الانتقال وعلم استعمال الابرار والطبيعية كالتصوير
بالمرآة وعلم الكيمياء وعلم طبيعة الارض والنبات وتركيبه وعلم طبائع
الحيوانات والصنف الخامس يحتوى على مجامع وظيفتها تعليم الانشاء
وسائر العلوم الادبية وعلم العاشقة وتاريخها وآداب اليونان والشعر

اللاتيني والفرنساوى وآداب الاجانب والهو والتاريخ قديمه وحديثه والجغرافيا وهناك مكاتب للاستعداد للعنون المذكورة وقرأ فيها تاريخ فرنسا كالجغرافيا الطبيعية والسياسية وعلم الزم ومن عوائدهم ان يحتضروا كتبهم فى المكتب العالى المشتهر بمكتب فرنسا وهناك مكتب لتعليم اللسانة المشرقية ومحل مخصوص بتعليم أخذ الاطوال ومحل الرصد السلطاني بباريس ومحل المعدل وضع الحيوانات المصبرة على اختلاف انواعها وانواع الابهار والمكتب السلطاني المعدل للغريطات الجغرافية ومكتب البوزار اى الصناعات المستظرفة ومكاتب اعمال اليد ومكتب التصوير السلطاني ومحل علم قواعد الموسيقى ومكتب تعليم مخاطبات التيارات وجميع مكاتب المشار اليها تحت رعاية وزير المعارف وما عداها من مكاتب المخصوصية فانها وان كانت خارجة عن دائرة الادارة العمومية الا انها لا تخرج عن دائرة المراقبة حيث يجب تفقدها فيما ملق بتمذيب الاخلاق وحفظ الصم وموافقه التعليم لمقتضى قوانين بلاد ثم ان هناك خمس جمعيات من كبار علمائهم يسمى كل منها لاكديمية ونسبى الجمعية الاولى اكدمية فرنسا والثانية اكدمية لخطوط القديم والثالثة اكدمية العلوم والرابعة اكدمية البوزار الخامسة اكدمية السيامه وتمذيب الاخلاق فوظيفة الجمعية الاولى لاعتقاده بتصفية اللغة وتحرير اوضاعها ووظيفته الثانية تحرير الاقلام قديمه واستخلاص اللسانة العلمية والنظر فى الهيكل القديم والتواريخ وظيفته الثالثة نشر رسائل فى سائر انواع العلوم وهذه الجمعية بمثابة نلس لتحرير رسائل العلوم ووظيفته الرابعة النظر فى احوال الابنية

والادهان والنقش والتصوير والموسيقى وهذه الجمعية هي التي تعين
من يسبق الدخول في مكتب البوزار ووظيفته الخامسة انظر في احوال
علوم الفلسفة والاحكام والمحقوق العامة والا كوني بوليتيك اى
الاقتصاد السياسى والاستاتيك وتاريخ الفلسفة العمومى والاداة
السياسية والمالية ولكل من هذه الجمعيات تعيين جوائز المؤلفين من
مقدار مال أو نشان من الصنف المعروف عندهم بالمدايا والجوائز
قارة تكون من الدولة وأخرى من بعض أعيان البلد ترغيبا في الاختراع
وهناك مكاتب أخرى لتعليم سائر العلوم والفنون الحربية البرية
والبحرية وجمعيات أخرى وظيفتها الاطاعة في أسباب التقدم في المعارف
والفلاحة وسائر الصنائع منها جمعية الطب وادارة المؤريات السلطانية
وجعية الترغيب في الصناعات الاهلية والجمعية السلطانية المركزية
في الخبز والتبائنات المتكفلة يجلب غير الموجود منها من سائر الاقطار
وتديره بما يكون سديا في بقائه عندهم حتى صار بهذه الواسطة يوجد
عندهم غالب ما يوجد في سائر المعمور وجمعية في الجغرافيا وأخرى
في بنية الكرة الارضية وأخرى في حوادث الجوف والاثار القديمة
واحوال الامم وأخرى في خصوص احوال آسيا وأخرى في الاقتصاد
السياسى وأخرى في مبادئ العلوم وأخرى في الجراحات وأخرى
في تركيب الانسان وأخرى في تواريخ فرنسا كما ان بابايات فرنسا كثيرا
من هذه الجمعيات ويوجد كثير من المدارس لتعليم كفايات التصوير
والعمال اليد وهناك مكاتب تتعلق بالمعادن ومكتب كبير لاصول
القيارة واما كن خصوصية لذلك تحت رعاية الدولة وثلاثة مكاتب
سلطانية لتعليم البيطرة ومنها لتعليم فنون الفلاحة واثنان وخمسون

جريا لامتحان قواعد الفلاحة والعارفون بقواعد الفلاحة
متوزعون في بلدان المملكة ومن مكاتب الفلاحة ما هو دائم التعليم
ومنها ما لا يفتح الا في اوقات مخصوصة ومن تاقته نفسه الى تفاصيل العلوم
والفنون المشار اليها فعليه مطالعة الفصل الثالث عشر من المقالة الثالثة
من رحلة العالم البارع الشيخ زقاة أحد علماء مصر المشاهير بتفصيل
البريز الى تخليص باريز فقصده كشف فيها الغطاء عن تدبير الامة
الفرنساوية حتى رفعت راية التمدن وأجاد في ذلك وأما

ومن آثار اعتنائهم بتوسيع دوائر العرفان الذي هو أساس التمدن
والتهذيب لنوع الانسان كثرة خزائن الكتب الجامعة لاسائر العنون
وتسهيل طرق التمتع بها بحسن الادارة والترتيب المحاسن لمواد العوائق
كلما يتصح ذلك بالتفصيل الآتي ولنتقصر في بيان كثرة الكتب
بالبلدان الاورباوية المعتبرة على ما حرره تعالى وزير المعارف
العمومية بايطاليا بعد تمام بحثه عن ذلك سنة سبع وستين وثمانمائة
وألف فذكر ان الموجود بخزائن ايطاليا من الكتب المجلدة أربعة
ملايين ومائة وأربعون ألفا ومائتان وواحد وثمانون مجلدا غالبا
من الكتب القديمة المملوكة بالديانة وبخزائن بريطانيا العظمى مليون
وسبعمائة وواحد وسبعون ألفا وأربعمائة وثلاثة وتسعون مجلدا
فيكون لكل مائة نفس من الاهالي ستة مجلدات وعلى قياس هذه النسبة
يكون لكل مائة نفس من اهالي ايطاليا احدى عشر مجلدا وسبعة
أعشار المجلد ويوجد ببلاد النمسا مليونان واربعمائة وثمانية
وثمانون مجلدا وبالنسبة للاهالي يكون لكل مائة نفس ستة مجلدات

وتسعة عشر المجلد ويوجد بالبروسية مليونان وأربعون ألفا
واربع مائة وخمسون مجلدا فيكون لكل مائة نفس من أهلها
احد عشر مجلدا وفي البروسية ثمانمائة ألف واثنان وخمسون ألف
مجلد فيكون لكل مائة من أهلها مجلدا واحدا وثلاثة عشر المجلد وفي
البلجيكية خمس مائة ألف وتسعة آلاف ومائة مجلد فيكون لكل مائة
من الأهل عشرة مجلدات وأربعة عشر المجلد وفي باوارييا مليون
وامتئان وثمانية وستون ألفا وخمسمائة مجلد فيكون لكل مائة من
أهلها ستة وعشرون مجلدا وخمس المجلد كما يوجد بفرنسا أربعة
ملايين وثمانمائة وتسعون ألف مجلد فيكون لكل مائة من أهلها
احد عشر مجلدا وسبعة عشر المجلد (فهو مثل إيطاليا قال)
وبهذه النسب يظهر ان ملكة باوارييا أكثر كتبها بالنسب
الى عدد الأهل وان كان الموجود بفرنسا لا يوجد بغيرها من
الممالك وفي مدينة باريس وحدها ثلث العدد الموجود بملك
فرنسا كلها ففي قاموس العلوم المؤلف في هذه السنين الأخيرة ان
المخزاة السلطانية بباريس بها من الكتب على ما تحرر في سنة
ثلاث وستين وثمانمائة وألف مليون كتاب مطبوع وثمانون ألفا
يخط اليد وغاية ما كان بها وقت تأليفها في سنة ثمانين وثلثمائة
والف تسعمائة وعشرة مجلدات وصار بها في سنة سبع واربعين
وخمسمائة وألف وثمانمائة وتسعون مجلدا ثم في سنة اربعين
وسمئة وألف صار مقدار ما بها ستمائة ألفا وسبعمائة وستة
واربعين مجلدا وفي سنة اربع وثمانين وثمانمائة وألف صار قدر

ما بها خمسين ألفا وخمسمائة واثنين وأربعين مجلدا وفي سنة خمس
وسبعين وسبع مائة وألف صار بها مائة وخمسون ألف مجلد وفي سنة
تسعين وسبع مائة وألف صار بها مائتا ألف مجلد واليوم بها ملبون
من الكتب المطبوعة ومخافون ألفا بخط اليد كما تقدم كتابها أربعون
ألف خريطة في ذوق الجغرافيا وعدد كثير من الرسائل ونحوها مما
لا يطلق عليه اسم المجلد وبهذا التماوت الكبير الواقع في مواد
المعارف يعلم مقدار تأثير الحرية في الممالك فانا نرى الخزانة المذكورة
في مدة أربع مائة وعشرة أيام من بيتها تأسيسها الذي هو سنة
ثمانين وثمانمائة وألف إلى سنة تسعين وسبع مائة وألف لم يتصل بها
الامائتا ألف مجلد ومن ذلك التلويح الذي هو مبدأ الحرية بفرنسا
إلى ثلاث وستين وثمانمائة وألف التي هي تمام أربع وسبعين سنة
من ذلك الوقت ازداد في الخزانة المذكورة ثمانمائة ومخافون ألف مجلد
دون ما لم يمكن حصره من الرسائل المشار إليها وعلى هذا يقاس سائر
أسباب التقدم ويوجد بباريس ثلاثون خزانة سوى الخزانة المذكورة
متفاوتة في الكبر كم توجد خزائن معتبرة في سائر فنون الممالك وأما
بيان حصر ادارتها المسبب لعاية سهولة الانتفاع بها فهو ان أما كن
الخزائن المشار إليها تفتح كل يوم من رجب خمس أو ست ساعات ومنها
ما يفتح بالليل أيضا قبل ثلاث ساعات وذلك في جماعه ايام الاحد وأيام
الاعياد التي لا تقبأ وزمدها شهرا في السنة وأيام التسريح للاستراحة
وإنما تفتح في سائر الايام للطلبة الراغبين في الاستفادة وأما الذين
يأتون بهد مجرّد الاطلاع فلا يسوغ لهم ذلك الا في يومين من الاسبوع

وللغزائن المشار اليها نظار وخدمة بقدر الكفاية وحولها بيوت للعلم
تسفن في الشتاء وهي محتوية على آلات الكتابة عدد الكاغد فأتى
به مريد الاسـ مناسخ ويطالب من المكاف الكتاب الذي يريده ببطاقة
يدفعها اليه واذا احتاج الى أكثر من كتاب يبين السبب فيها
فيدفعها المكاف للخدمة فيحضر له في المحين ما طلب وحينئذ وجه من
ذلك المحل يسلم للمكاف ما احذره من الكتب وهذه الخدمة مبذولة لكل
راغب سواء كان من الاهالي والاغانب أم من سكان من المؤلفين
المشهورين فسوغ له نقل الكتب للانتفاع بها في مهلة أقصاها عام اذا
طلب ذلك بالكتابة وبالسبب الداعي لاخذ الكتاب وعندهم مضي المدة
اما ان يرجع ما اخذ أو يطلب تجديد التسوية مدة أخرى ومما يناسب
سوقه هنا اعتناؤهم بأسباب تهذيب أبناء العائلة الملكية وتوسيع دائرة
معارفهم ولأنك ان ذلك من الأصول المعتبرة النافعة في ادارته للملكة
غاية النفع

فنعول من عاداتهم ان من يبلغ من أبناء العائلة سحر الترييه ينتخب له
رئيس تلك العائلة هلمين مهرة يعلمونه من فنون العلم ما يناسب حاله والمراد
منه من كل ما يهذب اخلاقه ويوسع في المعارف نطاقه فاذا بلغ من العلم
أشده توجه الى الممالك الاجنبية لمشاهدة احوالها ومطالعة سياساتها
وأحكامها ومالها من التقدم في العمران وغيره ليحقق بالمشاهدة ما بيننا
وبير بلادهم من التفاوت ليعتبر اسباب ذلك وقت باشرته لسياسة المملكة
فيستجيب ما تأخرت به بلاده ان رأى غير ما حير امنها ويعتني بما تقدمت به
ان رآه دونها فاذا بلغ من العمر نحو ثمان عشرة سنة يصير من أعضاء
المجلس الاهلي يحضره ولا يكون له كلام فيه الا اذا بلغ من العمر خـ

وعشرين سنة وفائدة ذلك التدرب على الامور السياسية ومما افتتحتها حتى
يستكمل عالم المملكة فيها مع ما يحصل له بذلك من الخبرة بطبقات رجال
السياسة لتأكد معرفتها على من يتوشع للرئاسة التي هي اعظم الخطط
البشرية واصعبها فيجب على متقديها من الاستعداد والمعرفة بمتنصيات
الاحوال المختلفة ما لا يجب على غيره لاسيما معرفة اهل الخبرة والمروءة
والخبرة من رجال المملكة ليعتد بهم للخطط المعتبرة مع التفطن لدسائس
الحساد والمفسدين فان المطلوب من المالك ليس هو مجرد فصل النوازل
الشخصية كما هو مشاهد في بعض الممالك الاسلامية ولا مباشرة جزئيات
الادارة التي يمكن اجراؤها بغيرهم من المتوظفين وانما المطلوب منهم النظر
في كليات الامور من معرفة الرجال الاتقيين بالخطط وامتحانهم
وتعقبهم بالمراقبة لارشاد جاهلهم وزجر متجاهلهم وتنفذ احوال الرعايا
والاعانة على تكثير الصنائع والعلوم الموصلة الى تهذيب الاخلاق وتقو
الارزاق والعناية بتنظيم العساكر البرية والبحرية وتحصين الثغور
بالعدة المانعة والقوة الدافعة لحفظ الدين والوطن واصلاح احوال
الخطاة السياسية والخبرة مع الدول الاجنبية بما ينحو به عز المملكة
وتزورها الى غير ذلك من الحكليات فان معاداة الممالك وشقاوتها
وامورها الديوية انما تكون بقدر ما تيسر لملوكها من ذلك ويقدر
الهام من التنظيمات السياسية المؤسسة على العدل ومعرفتها واحترامها
من رجالها المباشرين لها نقل عن المؤرخ بوليبيوس اليوناني الذي
كلام على سياسة الامة الرومانية وما وقع بينها وبين اهل قرطاجنة من
محروب انه قال في معرض الاستدلال على ان المباشرين الامر يلزمه

أن يكون هارفا بأصوله ما معناه إذا كان المريض لا يرتقي له حصول
العافية على يد ما يجب بهول نوع المرض والدواء المناسب له فكذلك
المسكة لا يرجي خيرها واستقامتها إذا كان وزرؤها المباشرون
يصلون أصول سياستها وقوانين شرائعها وعاتداتها ولا يخفى أن حصول
خير المسكة إذا كان يتمتع بسبب الجهد بل بأصول السياسة فامتثاله إذا
انضم لذلك عدم وجود تلك لأصول السكينة أخرى وأولى لأن السبب
في الحالة الأولى دائري بين الجهل والتجاهل وكلاهما أمر عارض يمكن
إزالته بتبديل المبادئ أو إرشاد جاهلهم وإزام متجاهلهم بالبحر بآراء
على الأصول المحفوظة أمّا ذلك لم يوجد من تلك الأصول شيء يرجع إليه
وسند مضبوط يقع التعويل عليه الاشتباه عليه فإن هاته الحالة يتبع
فيها الجهل الاعراض والشهوات من الأمر والمأور ورجحاً يؤل أمر
الدولة إلى الاضطلال والدثور والله عاقبة الأمور هذا ولما تضرع من
ما أوردناه في هذا المجال الإشارة إلى أن الحرية هي منشأسة نطاق
العرفان والتمدن بالممالك الأوروبية رأينا من المتأكد بيان معنى الحرية
عرفاً لدفع ما عسى أن يقع من الالتباس فيها

فتقول ان لفظ الحرية يطلق في عرفهم بأزاء معينين أحدهما
يسمى الحرية الشخصية وهو إطلاق تصرف الإنسان في ذاته
وكسبه مع أنه على نفسه وعرضه وله ومساواته لابناء جنسه
لدى الحكم بحيث ان الإنسان لا يخشى خضعة في ذاته ولا في سائر
حقوقه ولا يحكم عليه بشئ لا تقتضيه قوانين البلاد المتقررة لدى
المجالس وبالجملة فالقوانين تقيد الرعا كاتقيد الرعية والحرية
بهذا المعنى موجودة في جميع الدول الأوروبية الا في الدولة
البابوية

• (٧٩) •

البابويه والدولة العسكرية لانهما مستبدتان وهما وان كانتا ذواتهما
احكامهم مقرونة الا انها غير كافية لمحافظة حقوق الامة لان نفوذها موقوف
على ارادة الملك المعنى الثاني المحورية السياسية وهي تطالب الرعايا
التدخل في السياسات الملكية والمباحثة فيها هو الاصح للملكة على
نحو ما اشير اليه بقول الخليفة الثاني عراب الخطاب رضى الله عنه من رأى
منكم فى اعوجاجا فليقمه ببنى اخرا فافى سياسته للامة وسيرته معها
ولما كان اعطاء الحرية بهذا المعنى لساائر الاهالى مظنة لتشتيت
الآراء وحصول الهرج عدل عنه الى كون الاهالى ينتخبون
طائفة من اهل المعرفة والمروءة تسمى عنيد الا ورباوين يجلس نواب
الامة وعندنا اهل المحل والعقد وان لم يكونوا منفعين من الاهالى وذلك
ان تغيير المنكر فى شريعتنا من فرض الكفاية وفرض الكفاية اذا
قام به البعض سقط الطلب به عن الباقين واداعيت للقيام به جماعة
صادرة فرض عين عليهم بالخصوص ومجلس النواب المشار اليهم موجود
فى سائر الممالك الا ورباوية ما بدا للملكة من التقدم ذكره سما وله
ان يتكلم بمحضر الوزراء وغيرهم من رجال الدولة بما يظهر له فى سيرة
الدولة من استحقاق وضده وغير ذلك من المصالح العمومية كما يأتى وبقي
وراء ذلك للامة شئ آخر يسمى حرية المذمعة وهو ان لا يمنع احد منهم
ان يكتب ما يظهر له من المصالح فى الكتب والمجهرات التى تطلع عليها
الامة او يعرض ذلك على الدولة والمجالس ولو تضمن الاعتراض على
سيرتها وفى هذا المقدار افرقت الممالك الا ورباوية عنهم من ناله مع
الاول فتمت له الحرية المطلقة وبنهم من ناله بشرط متبصرة عند المولى
التي لم ترخص له باها ما تيسر لغيرها اعطاه من الحقوق وذلك ان احوال

الممالك متفاوتة بتفاوت مقاصد رعاياها فمنهم من لا يتازع الملوكة الا لقصده
الحصول على ما يسوغ لهم معارضة الدولة ان عادت عن سواه السبيل
واستقلالها المسافيه صلاح المملكة وحينئذ تيسر للملوكة اعطاء تمام الحرية
لتوارد مقصد الرأى والرعية على المصلحة ومنهم من يظن به ان الباعث
له على المناضلة فرط التعصب والحمية حيث تفرق الرعايا اخوابا كل حزب
بروم السياسة التي يراها اصلح للملكة في نظره كان يرى البعض ان
تسكون الدولة جهورية والبعض يختار ان يكون الملك في عاتلة غير التي
يختارها الاخر فيشأ عن ذلك ظن الدولة ان معارضة الاحزاب لها وان
صكبات بحسب الظاهر لا يجانبها الى طرق المصلحة لكن الغرض منها
وواذ ذلك وبذلك الظن الشائى عما ذكر استباح الملوكة الاتماع من
اعطاء تمام الحرية الموصلى لما اشير اليه * هذا وان من واجبات
الممالك التي تنال الحرية ولو خصوص الشخصية ان يقابلوا تلك النعمة
بإظهار آثارها واستجناء ثمارها بتعاطي المعارف وأنواع الصناعات
الراجعة الى الاصول الاربعة الفلاحة والتجارة والاعمال البدنية
والفكرية وهذه الاصول قوام السعادة الدنيوية المرئية للهمة
الانسانية وكمال الحرية المؤسسة على العدل وحسن نظام الجماعة حتى
يكون المحترف مثلاً آتياً من اغتصاب شئ من نتائج خوفه أو تعطيله في بعض
احوال خدمته فما يتفع الناس كرون ارضهم خصبه كريمة المنابت
اذا كان الباذر فيها لا يتحقق حصاد ما زرع ومن الذي يقدم حينئذ على
ازدراعها ولضعف أهل الناس في كثير من اراضى آسيا وافريقية تجد
انحصب مزارعها بوراً معطلة ولا شك ان العدوان على الاموال يقطع
الآمال وبقدر انقطاع الآمال تنقطع الاعمال الى أن يعم الاختلال
المفوض الى الانهيار

ومن أهم ما اجتناه الاورباويون من دوحه الحرية تسهيل المواصله
 بالطرق الحديدية وتعاضد الجمعيات التجريبية والاقبال على تعلم الحرف
 والصنائع فبالطرق تستجلب نتائج البلدان القاصية قبل فوات اوان
 الانتفاع بها بعد ان كان جلبها متعذرا لطروء العساو عليها في الطريق
 اول زيادة كرائها على اصعاف قيمتها وبالجمعيات تنسج دوائر رؤس
 الاموال فتأني الارباح على قدرها وتتداول على المال الايدي
 الحسنه لتنجية وتعلم الحرف تكسب الاموال الذريعه عن غير رأس
 مال وقد رأينا بالمشاهده ان البلدان التي ارتقت الى أعلى درجات
 العمران هي التي تأسست بها حقوق الحرية والكوتيتيوسيون
 المرادف للتنظيمات السياسية فاجتث اهلها ثمارها بصرف الحجم
 الى مصالح دنياهم المشار الى بعضها ومن ثمرات الحرية تمام القدرة على
 الادارة التجريبية فان الناس اذا فقدوا الامان على اموالهم يضطرون
 الى اخفاؤها فيتعذر عليهم تحريكها وبالحمله فالحرية اذا فقدت من
 المملكه تنعدم منها الراحة والغنى ويستولى على اهلها الفقر
 والغلاء ويضعف ادراكهم وهمتهم كما يشهد بذلك العقل
 والتجربة

وما اشرنا اليه من أن الشركات الجمعية من اسباب نمو النتائج التجريبية
 معقول محرب فان قوة الاجتماع معهودة في سائر الامور العادية
 وغيرها وكلما تمكن حب الاشتراك من قلوب اهل المملكه يشاهد
 نمو المكاسب فيها بالعيان ولذلك كثرت الجمعيات بأوربا في سائر
 المعاملات المدنية والتجريبية وغيرها وتكاثرت المخدمات برا وبحرا

وكثرت مجامع العلوم وجمعيات المحسنين للضعفاء والمساكين وتكرر التعاون على استخراج المعادن واصطناع الخلق ومجاري المياه التي تصعبها السفن الى الجبال ثم تنزل وطرق الحديد الى غير ذلك من المهمات التي لم تكن تحدث لولا وجود تلك الجمعيات فمن الذي كان يقدر وحده على اصطناع طريق حديد أو يحاطر بجميع ماله على فرض قدرته في احداث مالم يقيسر لهم الا باشتراك مائتي أو ثلثمائة الف نفس بخلاف مخاطرة الواحد منهم بنزول يسير من ماله فانها غير محجفة ولا مستبعدة ثم ان الجمعية اذا كانت كبيرة وكان فيها فائدة عمومية فإن الدولة قد تضمن لها ربحا معسولما في المائة وادارة الجمعية تكون بيد أناس ينتخبون من ارباب المحصص لهم مزيد شهرة ومعرفة باجراء قانون الشركة وحفظ فوائدها وعند تمام السنة يقدمون حساب ذلك مع سائر متعلقات الادارة ويعينون العوائد لارباب المحصص المشار اليهم ومن أعظم ما ستر المشاركة شق خليج السويس وطريق الحديد المجامع بين طرق البحر المحيط بأميركا وبقب جبل آلب السكائن بين ايطاليا وفرنسا وقطع جبل البريني بين فرنسا واسبانيا لمرور طريق الحديد به - ما و احداث المرداب تحت وادي تامس بلندرة وعقد الجمعية المشاهدة بحري اميرال التي لها من السفن الجارية ما هو مشاهد في سائر البحور ووضع تلك التلغراف تحت البحر المحيط من انكثرة الى اميركا ونحو ذلك من الاعانات التي وجدها في المشاركة رجال الدول وارباب الاختراع وحذاق المحترفين ومعلوم ان قوة المجموع أشد بكثير من قوى الجميع. والناس اذا تعاضدوا على شيء توصلوا الى المقصود منه

ولو كان من اصعب الامور وكفى حجة لذلك المحادنان الهائلان وهما
بنك فرنسا المشهور ومستعمرات الانكليز بالهند فان دولة انكلترة
تملكت بجمعيه من تجارتها تسعي كومبانيه الهند مسافه ثلاثة ملايين
وخمسمائة ألف ميتر مربعاً بها من السكان مائة وخمسة وثمانون مليون
نفس وأما بنك فرنسا فانه كان في سنة ثمانمائة والفس رأس ماله
ثلاثون مليون فرنك متجمعة من ثلاثين ألف سهم وفي سنة ثمان
واربعين وثمانمائة والفس بلغ ما به من النقود احدى وتسعين مليون
فرنك وبلغت كواغده المالية الرائجة بين الناس وفي المعاملة وراج
المسكوك مقدار اثنين وخمسين واربع مائة مليون فرنك وفي اواخر سنة
تسع واربعين وثمانمائة والفس رخص من الدولة لذلك المذكور أن يزيد
في كواغده الرائجة الى أن تبلغ مقدار خمسة وعشرين وخمسمائة مليون
فرنك وفي سنة سبع وخمسين وثمانمائة والفس طلب البنك من الدولة
تجديد المدة الى تمام اربعين سنة مستقبلة فأذنت له بشرط تضعيف ما به
من النقود حتى يصير ثقيراً بمائتي مليون فرنك فصاعف ذلك وتمت
له الدولة مطالوبه ثم أن من تصرفات البنك عندهم صرف كواغده
الحوالات التي تكون مضمونة بضط ثلاثة اشخاص يعرف مجموعهم بالملاء
الذي يناسب المعاملة بذلك المبلغ الذي تضمنته وقبض ما كاف البنك
بقبضه من الحوالات لارباها بأجر معلوم الا اذا كانت في البلد الذي
هو به فانه يفعل ذلك بلا عوض وقبول ودائع الناس لمجرد حفظها
ومراسلة من يضع فيه مالا وتقيم الهامسة معه واقرض المال لمن يريد
اذا دفع رهناً ثقة غير الاربعة والعقار من كل ما يصير عيناً بسهولة كسهم
طرق الحديد والصكوك اعد التي تباع من اقراض الدول والمسابك

ونحوها وادعاء كواغدا الحوالات على توابه كما يجعل عليه التواب ايضا
وله خمسة وخمسون نائباً في بلدان متفرقة وإذا أردت أن تعرف كيفية
تدرجه الى هذه الحالة الرائعة وكيف اتسعت دائرة المعاملات بأوربا
في هذه المدة الأخيرة منذ ثلاثين سنة فاعلم ان البنك المذكور لم يكن به
من السكاوعد في سنة ثلاثين ومائتين ألفاً وثمانمائة وثمانون
مليون فرنك واليوم به من النقود ما تقدم آنفاً وهو ما يقرب من مائتي
مليون فرنك ومن السكاوعد الاربعة مائة في الصندوق من الحوالات
وغيرها مقدار ألف وستمائة مليون فرنك هذا مع ان البنك كان
في الزمن السابق مستقلاً لعمالة الناس وأما الآن فقد زاحمه كثير من
الجمعيات كجمعية عماله الصناع والتجار والسكر يدي المعينة لعمالة
ارباب الاشراف والسكر يدي المعينة لعمالة ارباب المقولات
والجمعية العامة وصندوق الودائع ونحوها من الجمعيات وبالجملة فإذا
قال القائل ان الملايين التي كانت الناس تتعامل بها ابقت صارت اليوم
ألف ملايين فلا يكون قوله بعيداً عن الصدق

ومن أسباب تقصيرهم العناية بن اختراع شيء لم يسبق اليه أو أجاد في عمل
مفيد فن ذلك ان بقوت الممالك المشار اليها مواضع معتبرة تعرض فيها
بنتائج الملكية من نباتات وحيوانات ومصنوعات مستغربة ونحوها بعد
كل خمسة أعوام أو اقل أو أكثر بحسب مقتضى حال الملكية وينعقد
لذلك مجمع مركب من العارفين بحقائق الاشياء ليتأملوا فيها ما نوحّدوا
شيئاً منها مستبداً على مخترعه قطعة من نحاس أو فضة أو ذهب تسمى
المداليس على شكل المسكوك مرسوماً في احد وجهيها صورة الملك
وفي الآخر مكان العرض وتاريخه وقد يستحق مقص صناعته نشان

الاقتدار فان قيل ما فائدة هاته القطع التي أعلاها قطع ههذه وهي لا تفي
 ببذل الجهد والمكابدة في الاختراع فالجواب ان أخذ تلك القطع زيادة
 على الشهادة له بالسكالم والتقدم فيما هو بصدد من الاعمال يتوصل
 بذلك الى ما يؤمله من الرغبة في سلعة المنفعة لتزك مكاسبه لان سائر ما يقع
 في ذلك المجموع يطبع في ههذه الاخبار ليشيع في الناس وربما أعطى
 المخترع مبلغا من المال وقد كان نابليون الاقل اصدر أمرا باعطاء
 مليون افرنك ان يحدث آلة تعزل الكنان وحدها ومن عناية
 ملوكهم بهذا المجموع ان الملك يحصره بنفسه مع رجال دولته حضورا
 رسميا عند فتح المعرض وعند انتهاءه ويعلم للحاضرين بخطبة تتضمن
 مدح من أفي بشئ مهم تبذل لتتوفر الدواعي ويتنافس الناس فيما ينمي
 منافع الوطن واد اطلب احد المخترعين من الدولة ولو خارج المعرض قبل
 اشهاره مخترعه الرخصة في الاستبداد باصطباعه مدة لا يصطنعه غيره فيها
 الا باذنه تعطى له الرخصة في ذلك بشرط أن لا يتجاوز المدة خمس عشرة
 سنة وان يدفع للدولة شيئا معلوما في مقابلته الاختصاص وأما المؤلفات
 فانها تبقى ملكا لصاحبها مدة حياته ويختص بها ورثته بعده وانه سبع
 سنين وفي بعض الممالك ثلاثين سنة ثم يرتفع التجهيز المشار اليه ولولا
 هذا التخصيص ما انبعثت رغبات الناس الى الاختراع والتأليف لان
 المخترع يلزمه ما لا يلزم المقتدي من اقتحام شاق الاعمال والمخاطرة
 بمصاريف التجريب واضاعة عاب الالوقات في التدبير فاذا لم يعط ههذه
 الاختصاص كانت أعماله المذكورة بلا عوض حيث شاركه غيره
 في فائدتها ومن وجوه الترغيب عندهم ان من اخترع أمرا ما تجبئ

صورته من رخام أو نحاس وتوضع في الأماكن المعدة لاجتماع الناس أو يسمى باسمه ما يتفق حدوته في تلك المدة من قنطرة أو طريق جديد أو نحو ذلك ليبقى بذلك ذكره وحاصل سياستهم في هذا الشأن اعتبار ما فيه ان لا يبنى بأي نوع يقتضيه حاله من وجوه الاعتبار كما اعتبرت ذلك الدولة العلية عند تأسيسها سوا بدار الخلافة لعرض نتائج المملكة وقد وقع العرض المذكور في سنة ثمانين ومائتين والف هجرية وفي سنة إحدى وخمسين وثمانمائة والف وقع بانكثرة للعرض المشار اليه ترتيب عجيب وهو انهم أسسوا محلا في غاية الاتساع والصفاء وأعدوا للعرض نتائج الممالك من سائر المعمور ثم وقع مثله في فرنسا سنة خمس وخمسين وثمانمائة والف ثم تكرر بانكثرة ثم أعيد في فرنسا مزيد اعتناء سنة سبع وستين وثمانمائة والف كل ذلك ليقتدى المتأخر بالتقدم في الصناعات ونحوها مما يحصل لتجار تلك المملكة من الاموال الفزيرة الناشئة عن معاملة ملايين من النفوس الاجانب الوافدين عليها لذلك وإدارة هذه الجماع وتعيين المنازل لارباب الصناعات والبضائع وتعيين من يستحق الجزاء ونحو ذلك موكولة لتنظر مجلس مرؤس بأمر من البيت الملكي اطهارا لمزيد الاعتبار

وقد آن ان تبين اصول تنظيم ما تمم السياسية التي هي اساس التقدم والثروة المشار الي بعض آثارهما آنفا فنقول اعلم ان الامم الاورباوية لم تأت عند هم التجارب ان اطلاق ايدي الملوك ورجال دولهم بالتصرف في سياسة المملكة دون قيد بحرية للظلم الناشئ عنه خراب الممالك حسبما تحققوا ذلك بالا ملاح على اسباب التقدم والتأخر في الامم

الماضية

الماضية جزعوا بلزوم مشاركة أهل العمل والعقد الاتقى بينهم
 في كليات السياسة مع جعل المسؤولية في إدارة المملكة على الوزراء
 المباشرين ولزوم تأسيس القوانين المتنوعة عندهم الى نوعين
 أحدهما قوانين الحقوق المرعية بين الدولة والرعية والثاني قوانين
 حقوق الاهالى فيما بينهم فراجع الاول الى معرفة ما صاحب الدولة
 وما عليه ويندرج تحته امور منها حرية العامة الكفالة بضمانة
 حقوقهم ومنها تعيين اصول تصرفات الدولة بجهورية كانت أو وراثية
 كتعيين القوانين المحكومية وإدارة السياسة الداخلية والخارجية
 كعمل الحرب وعقد شروط الصلح والتجارة وتعيين الوظائف
 ونصب المتوظفين من الوزراء وغيرهم وتأخير من لم تكن وظيفته
 مؤبدة (وإنما عتبرنا التأخير لان عزل المتوظف عن المصلحة التى افنى
 اطلب عمره في خدمة المملكة لنيلها عزلا يفضى طرده من خدمتها
 بالمرّة لا يكون الا بذنب ثبت لدى مجالس الحكم بمقتضى القوانين)
 وكذا صرف الجاني لما عنت له الى غير ذلك من إدارة المملكة
 بما لا يخرج عن مقاصد قوانينها كل ذلك من حقوق صاحب الدولة
 بأعانة وزرائه وتأسيس اصول هذا النوع يكون في دولة فرنسا بما وافقة
 غالب رضاء أهل المملكة المتصرفين في حقوقهم الخصوصية والسياسية
 وفي غيرها يراعى على الشرط المذكور اما العلم أو ملك عليه مبلغ محدود
 من الاداء أو الواجهه المسماه عندهم بالنوبليس وموافقتهم إقبا بأنفسهم
 أو بواسطة وكلاء ينتخبونهم لذلك والنوع الثانى القوانين المحررة
 اعصل نوازل السكان والتسوية بينهم في الجاني والمنع بحسب المكاسب
 والاستحقاق الى غير ذلك من أحوالهم الداخلية وتأسيس هذا النوع

أو تبدله بما هو أليق بالمحال يكون بموافقة المجلسين أمضى المجلس الأعلى
المركب من أمراء العائلة الملكية ومن ينتخبه الملك من أعيان المملكة
مؤيدا وظيفته ومجلس الوكلاء المركب من ينتخبهم الأهل إلى المناضلة عن
حقوقهم والاحتساب على الدولة فأهل هذين المجلسين هم أهل الحمل
والعقد عندهم فكل ما وافقوا عليه مما لا يخالف تلك الأصول اللازم فيها
مشاركه العامة يصير من شرائع المملكة

وأما أوليه الوزراء فعنها ان يكونوا تحت احتساب مجلس الوكلاء
مباشرة كما هو موجود في سائر الممالك الكوسيتية وسيونية ما عدا الدولة
الفرس ساوية الحجم فان وزراءها مسؤولون لذلك وهو مسئول للمجلس
ومن آثار المسؤولية المذكورة ان أمور الادارة المتقدمة انها من
حقوق صاحب الدولة يتوقف اتخاذها على اجازة الوزراء بحيث لا يبرم
أمر منها حتى يستشيرهم وانهم لا يمكنهم البقاء في الخدمة الا اذا كان
غالب أعضاء مجلس الوكلاء موافقا في سياستهم فعلم ان المجلسين
المذكورين لا يتدخلان في تفاصيل الادارة وانما أدبهما وضع
القوانين وحفظها بالاحتساب على الدولة ومن أعمالها عند
الاجتماع النظر واعطاء الرأي فيما يعرض على كل منهما من النوازل
الاهمة الداخلية والخارجية وسؤال الوزراء عما يظهر لهما من
شأن والقادح في سيرتهم خصوصا مجلس الوكلاء وعلى الوزراء
الجواب عن جميع ذلك وتقع المصادقة بالمجلس علنا بين القادح
والمدافع ليتضح الحال ويظهر المصيب من الخطى فاذا اتفق غالب
مجلس الوكلاء على تصويت سياسة الوزراء بعد التأمل في أدلة
القادح والمدافع تسم للوزراء البقاء في الخدمة وتحصل حينئذ

فائدة الدولة والمملكة أما الدولة فليكون المجلس لا يتوقف بعد ذلك
 في أن يسوغ لها أخذ ما تقتضيه المصلحة من المال والرجال لأن من وافق
 على المصلحة وعلى حسن سيرة مباشرها لا يمنع من إعطاء ما يلزم لانجازها
 وأما فائدة المملكة فبقيت استقامة سيرة المباشرين لمصالحها فيكون
 عليها ما عرف أمواها ودماء أبنائها حيث كان فيما يعود بالنفع عليها
 وبمثل هذا يستقيم حال الدولة والمملكة ولو كان الملك أسير الشهوات
 أو ضعيف الرأي كما تقدم وأما إذا اتفق غالب المجلس على عدم
 استحسان سياسة الوزراء فيجب على الملك عند ذلك أحد أمرين
 إما تبديل الوزراء المشار إليهم أو حل المجلس ~~الكل~~ على أن
 يعيدوا إلى الانتخاب في مدة معلومة فإذا انتخبوا من يكون أشهر
 باللبس والمساعدة للدولة دل ذلك على رضاهم بسياسة فيبقى الوزراء
 على خططهم وأما إذا انتخبوا الأولي أو من يكون مثله في الشدة
 فيستدل بذلك على عدم رضاهم بها ويجب حينئذ خروج الوزراء
 من الخدمة وتعويضهم بمن سياسة ترضى المجلس والمجلس المسدود
 أن يدعى الخيانة على أحد الوزراء أو مجموعهم إذا رأى أدلة ذلك
 وتكون نازلة تفصل بالمجلس الأعلى وظاهر أن الوزراء المشار إليهم
 كما تشدد عليهم القوايس المسؤولية عن تصرفاتهم تمنع التعدي عليهم
 في النفس والعرض والمال فيقيم للصليب الأمين منهم أحرار الأمور على
 مواقع المصلحة والفوز بما يستعقبه ذلك من جميل الثناء ولين اتصف
 بالإمانة دون الهجاء المحر وج بالعلامة لاله ولا عليه وبما تقدم يعلم أن
 سلطة المجلسين تقعد تارة وتغترق أخرى إذ لكل منهما أعمال

تخصه واعمال يشارك فيها الآخر غير أن المعبر في تأسيس القوانين سيما المتعلقة بالمجاني والقوة العسكرية وفي الاختساب على الدولة واستقصان سياسة الوزراء وضده الذين ينفي عليهم ما خرجهم اوبقاؤهم في المخططة هو ما يتفق عليه غالب مجلس الوكلاء حسما أشير اليه قريبا كما ارجاء القوانين المذكورة يتوقع على موافقة المجلس الاعلى على كونها غير مخالفة لاصول الكونستيتوسيون قلت فبتقرير ما ذكر يعلم ايضا ان صاحب الدولة عندهم مضطر الى موافقة ارادة المجلس التي هي في الحقيقة ارادة اهل المملكة ولا يخفى ما يتبادر فيه من التشديدات التي تأبأها نفوس غير المنصفين من الامراء والوزراء لكن من بحث بالام الأوروبية ونجاح مساعيها الدنيوية أن عرف ملوكها ووزرائها ما ينشأ عن ذلك من العوائد المحمة التي منها كف ايدي المأمورين عن التعدي على الرعية ومنها سهولة اعتبار المكاسب في توزيع الاداء على الاهالي بحيث لا ينقص من رؤس اموالهم اذ لا يتم مع ذلك نمو العمران ومنها ان الرعايا اذا وافق وكلاؤها على اصل المصلحة فانها لا تشح باعطاء ما يلزم لانجازها كما تقدم ومنها ان المفسد لا يجد مساعدا للقدح في تصرفات الدولة بقصد التنفير منها وتغيير القلوب عليها ومنها ان الوالي المستبد ولو كان عادلا لا يمكنه الاطلاع على احوال مملكته الا بواسطة الوزراء وغيرهم من المتوطعين الذين أثبتت التجارب ان اكثرهم لا يعرفون الولاية الا بما تقتضيه ورائداهم فيتوصلون بالنصائح العمومية الى اغراضهم الشخصية خصوصا من يشير منهم على الملوك بالاستبداد لماله في ذلك من المعونة على حصول استبداده هو ايضا في مأموريته على انه يمكن لنا

أن نقول أن المأمورين في دولة الاستبداد كل واحد منهم مستبد على قدر حال مأموريته فلهذه القوائد ونحوها تجسم الملك والوزراء ما في التقييد في مبدأ الأمر من المراقبة نظرا لما يستتبعه من لذة السطوة والمحضارة وقد صرح بعضهم في ذلك بما لم نزل نشاهده من تقدمهم في العلوم والصناعات واستخراج كنوز الأرض بالزراعة والبحث عن المعادن وحصولهم من أمثال هذه المذكورات الناجبة من اتحاد الراعي والرعية على ما قوى حاميتهم في البر والبحر حتى هابتهم الأمم واستولوا على ممالك كثيرة خارجة عن قسم أوروبا وتالوا من نفوذ الكلمة في غير ممالكهم ما هو مشاهد وصاروا في التصرفات الدنيوية قدوة لغيرهم وما ذاك إلا بإجراء القوانين السياسية التي مدارها على ملتقطيه الحرية المشروحة سابقا من حفظ حقوق الإنسان في نفسه وعرضه وماله والاتحاد في جلب المصالح ودرء المفاسد بمراعاة العادات والامثلة والأزمدة التي تعتبر شريعتنا اختلاف أحكامها اعتبارا كلياً ولتلك القوانين في الممالك الأوروبية من الاحترام واستمرار النفوذ برعاية أهل الحل والعقد ما يحمي حقوق الرعية وحريةها ويؤمن الضعيف من بطش القوي ويدفع عن المظلوم سلطة الظالم مثل ما كان لامة العرس التي طال ملكها ودام حديث عدلها إلى الآن وشهد لبعض ملوكها بالعدل سيدنا الصادق صلى الله عليه وسلم ومثل ما كان لامة الرومان التي استولت على غالب جهات المعمور حتى كان يقال لها في ذلك الوقت كرمى ممالك الأرض ومثل ما كان لامة اليونان التي استولت على العدو على بعض بلدانهم ولزمهم الخروج منهم أسألوأحكيما لهم أين تصلح السكنى فقال لهم في بلد تكون الشريعة

فيه أقوى من السلطان الى غير ذلك من الامم التي ما بلغت غاية الاستقامة
الا باحترام قوانين احكامها المؤسسة على العدل السياسي كما ان عدم
احترامها كان منشا رجوعهم الى الله تعالى ولا يتوهم ان ذلك بسبب بركة
في شرائع الامم المذكورة اذ الواقع انها قوانين عقلية مبنية على
مراعاة الوازع الديني فاذا انضم الى ذلك وجود الحركة والحركة
الالهية كما هو حال شريعة المطهره كانت المخالفة معصية متعقبة من
النكال الاخرى اجلب للاضطراب الديني ومن تتبع قوانين الامم
المشار اليها وتواريخ الامة الاسلامية رأى ذلك عيانا

هذا وان الضرورة قد تدعو الى تفويض ادارة المملكة لشخص
واحد مستند لكن لغاية محدودة وبشروط عندهم معهوده وذلك ان
من اصول السياسة المأثورة عن الامة الرومانية ان المملكة اذا امتدت
الخطر عليها اتى بكثرة الفساد الداخلي او بظهور مخالفات التعلب عليها
من الخارجى وصعب حكم مواد ذلك بالاعمال القانونية لمكان تعدد
الانظار المتساوية وما عسى يقتضى الترجيع بينها من طول المفاوضة
المفتحة الى عدم قمع المفسدين ومدافعة المتسلط الاجنبى او الى تأخير ذلك
من وقت الحاجة فعند ذلك يطلب مجلس السناق من أحد رئيسي الدولة
الجمهوريه ان يختار من اعيان رجال المملكة من يسميه باسمه دستور
اى يطلق التصرف تفوض اليه ادارة المملكة بما يظهر له مقتضى
اجتهاده كعمل الحرب والصلح ونفى أو قتل من يراه من اهل الفساد
والخيانة او عقابه بأخذ المال او غير ذلك مما يقتضيه الحال ولا يتوقف
نفوذ حكمه على موافقة احد الا في امر الجباى فالاعمال فيها موقوفة
على موافقة مجلس السناق وكل من له مأمورية عسكرية او سياسية
هو ملزم بتنفيذ اوامره وكذلك سائر الإهالي ولا يتجاوز التفويض

المذكور

المذكور سنة اشرور ولو كان السبب باقيا لا يتغير بض جديد كما انه اذا ارتفع السبب قبل انتهاء المدة فان التقويض ينتهي وترجع الادارة الى قواينها وعندئذ يرجع المقوض له تنوجه اليه المسؤولية اللازمة اسكل من يخرج من خطة معتمة عندهم فيطلب منه بيان السبب الداعي الى ما يتصرف به من قتل وحرب وصلى وأخذ مال ونحو ذلك بمحض أهله ورومية المجتسمين لذلك فان صوبوا فعله استوجب شكرهم وثناءهم على سيرته في موكب مخصوص وان كانت الاخرى يحكم عليهم بما يناسب سوء تصرفه واكثر ما يكون ذلك بالنفي من التفت أو اداء المال ثم ان الاورباويين صاروا في المدة الانعيرة يطلقون اسم الدكتور على كل والي مطلق التصرف سواء كان محدودا بجهة أم لا كما يجترأ ~~كرو~~ نول بانسكترة ونابوليون الاول بغرسا وغيرهما ممن كان استبداده من آثار حيرة تنور بالملكه يشتر فيها المشار اليه بزيد الدراية والحزم في نصب نفسه منصب الله كتنور وتعرف به العامة بتصد اخراج الحيرة وتخليص الملكة من مواقع الخطر واستصلاح حالها بتهديب جماعات الاهالي وتقويم اعوجاجهم لئلا يحصلون غابا على هذا القصود بل يتوصل المنتصب بذلك الى اعتنام الفرصة لاستقرار استبداده اتما لاستقرار اسباب الحيرة وضعفه عن ازلتها وأما لكون المنتصب أزالها بحسن تدبير ونفع من الاهالي موقع الإعجاب حتى كتب بذلك مزيد احترام عندهم أسس عليه سلطته واثار نفوذ رادته على اجراء قواين الملكة من جمعا بذلك حظ نفسه على المصالح عامة لكن ذلك معهما يقضى اليه من المضار الاستبدادية لا ينسحر من المصير اليه واجب عند قيام سببه لاستبقاء راحة الملكة كما يشهد

اليه قول المحكم مونتسكيو الفرنساوى انا بمقتضى ما سمعته من
اعمال الامم التى كانت حاصلة على الحرية التامة نرى ان المال
قدية تقتضى ارضاء المستر على الحرية ارضاء وقتها قلت وحيث كان
التفويض المشار اليه اغتاساع للضرورة وما أبج للضرورة يتقدّر
بقدرها فلا جرم يجب الرجوع الى كشف حجب الحرية بعد زوال السبب
هذا وقد قررنا في هذه المقدمة من الادلة الناهضة الواضحة من
ما فى التصرفات السياسية المضبوطة بالتطبيقات من المصالح العام
والخاصة التى يشهد اليان يا نأرها الناجحة فى الممالك وما فى التصرفات
السياسية الغير المضبوطة بها من المضار الفادحة ما تقر به عن النصوح
الحب تحجير الوطن واتى لأزال أقول ان ترتيب التطبيقات
المشار اليها من لوازم وقتنا هذا كما أقول صدقا بالحق ان كل
متوظف لا يرى الاحتساب عليه فى وظيفته فهو عديم الامانة والنصيحة
لدولته ووطنه ولو كان معتمدا فى ذلك على ما قد يحده فى نفسه
من حب الانصاف لانه تسبب فيما يدعى تعقب الخراب بامتناعه من
المراقبة والاحتساب حيث ان اكثر المتوظفين اغنايا شرا
نخائمه على مقتضى شهواته ومصالحه الخصوصية مؤثرا لها على المصالح
الوطنية العمومية فهو ان كان محبولا على حب الانصاف
فان غيره لا يفعل مثله الا بمراقبة الاحتساب ولانه لو كان منصفاً
فى الواقع ماضره الاحتساب حتى يمتنع منه بل اللاتى بحاله مزيد
الحث عليه اذ به تظهر براءته طهورا لا يحصل بدون ذلك وفيما
أودعناه فى غضون هاتئ المقدمة للتبصير كفايه والتوفيق
بيد الله الم محمود فى كل بداء ونهايه

يقول جامع هذا الكتاب ألهمة الله الى الرشيد والصواب هذا
 ربه يسر لنا جمعه بحول الله من تصارييف الممالك الاسلاميه والاورباويه
 ربه عيين في تهذيب الفاظه ببعض أبناء الوطن والمعاونين ربه
 بعين الانصاف ان يرى فيه افادة كافية في معرفة الملهم من احوال ذلك
 الائم وان يغفر في جنب ذلك ما لا يحلو عنده كلام مترجم من قلبي
 العبارة وعدم الانحياز سبباً وعالب ما ترجمناه يشتمل على مدلولات
 مستحدثة لم توضع لها الفاظ عربية حتى انا قد نلتجئ بذلك الى نقل اللفظ
 بحاله اتمكالا على اشتباهه ولو عذرخموص المستعدين لموادث الوقت
 ولا تمنع ان يكون منشأ ذلك عدم اطلاعنا على الرديف العربي والجملة
 لافاضاء ذوى العرفان مأمول لئلا نأمر لم يجرئه على موقف الاستهداف
 الا القيام بواجب النصيح لله ورسوله ولا ثمة المسلمين وعامتهم وبناء على
 كون ذلك مصدر التاليف نعم ان عسى أن يعترف به على شئ من الهفوات
 بآنا نرى له المزية علينا في الارشاد الى اصلاحه بما يكون أعون في استجلاب
 النصيحة مستوجبا بذلك ثنائنا ثم الثواب من رب العباد فنجزه هذا
 التاليف باعانة الله تعالى عشية يوم الاثنين عاشر جمادى الاولى
 سنة اربع وثمانين ومائتين والالف

بسم الله الرحمن الرحيم * (الحاشية الجديدة) *

لك اللهم الحمد والتمجيد * اذ جعلت المعارف ابواب الجنة * متصل
 بها الى التمانع بحمدك * والتمناهي في تسبيحك وبجودك * يا حسن
 ما تحل به اباكرا المعاني في النجور * واهسى ما تضرعت به افواه

(٩٦)

لام في المطور * وبعد فبقول القدر الى مولانا المستمنح فضله
له قولنا * سليم الياس جوى الدمشقي مولانا المصري ومطانا وقطنا *
اسال بت مقدمة كتاب اقوم المسالك * في احوال الممالك * الذي جمع
يقطف ويحي * واشتمل على * هجاء الامور * عالم نرملله جمل * من
تفوح ل ماصنف * واهي ماحور والعب * جديرة ان تزدان بها الممالك *
وتكون تلاوتها للعموم كالحتم الواجب * كيف لا وهي * عنه براعة واثم
الماثر شرفي المجد والقلم * الشهير بفضله * اشتها الشمس
في رابعة النهار * والذي لا يدرك شأؤه في ذلك المظهر * صاحب الدولة
والعطوفة حبيب الدين باشا الذي تفخر به المعالي والرتب * ويرتفع
به منار الفضل والادب * ولنا فيما تولا من المناصب الرفيعة
كالمروارة في الدولة التونسية والصدارة في الدولة العلية دلائل *
قال لسان حالها جاء الحق وزهق الباطل * وقد تم طبعها وزها في
قالب الحسن وضعها * في مطبعتنا الكائنة في ملك دمر بكر بجوار مجلس
المنحة المشهورة بمطبعة جريدة الاسكندرية * حرسها الله تعالى من
كل آفة وبليه * واذا كان لا يحتاج النهار الى دليل * اقتصرنا عن طبع
ما جاء به فرسان البلاغة من التقاريط التي يعز لنظيرها المثل كيف لا
واولئك الفرسان من احناطوا دائرة المعارف حول كل تليد وطارح حتى
حنت اليهم الاداب اعماقها * والفت اليهم المعارف عقالدها * فلا بد
اذا استزلوا الشهب في اقلامهم * وارتفع مدار الفضل من اعلامهم
ولولا ضيق الوقت لما بناجدها بتلك التقاريط الوافرة لتعظيم الفائدة بها
وحسن العائده * نسأل الله تعالى ان يعيننا على خدمة الاوطان لنبذل
في سبيلها غاية ما في الامكان * اذ اننا معتصمون بحبله المتين على الدوام
وعليه عز وجل الاتكال في البدء والختام